



مراجعات

ذو القعدة 1438 هـ - أغسطس 2017 م

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الدراسات المهمة التي أنجزها العمانيون في الخارج أطروحة دكتوراه بعنوان «إدارة الموارد الأثرية في عمان»، قدمها محمد بن علي البلوشي لمعهد الآثار والصور القديمة، كلية الدراسات التاريخية، جامعة برمنجهام، سنة ٢٠٠٤.

ويشير الباحث في ملخص أطروحته إلى أن عمله يدرس كفاية الإدارة الحالية للآثار في سلطنة عمان، مستعينا بالنظريات والممارسات السابقة في مجال إدارة الآثار، مركزا على دراسة الوضع الحالي للسجلات الأثرية العمانية، وقياس مدى ملاءمتها للاستراتيجيات المستقبلية لموارد الآثار العمانية تحديدا، وإدارة، وحفظا، واستكشافا، واستخداما، وتخطيطا. ولتحقيق ذلك اتبع الباحث مزيجا من طرائق الدراسة النوعية والكمية، متضمنا مراجعة نظام الإدارة الأثرية العماني وخصائص الموارد نفسها. ومن أبرز هذه الطرق تمكن الباحث من تصميم سجل إلكتروني شامل جديد للبقايا الأثرية العمانية (قاعدة البيانات الوطنية الأثرية في عمان) مع بنائه وتنفيذه. كما وفر الباحث لأول مرة، على المستوى الوطني، قياسا كميا أوليا للموارد العمانية وتحليلا لطبيعتها وخصائصها.

ويرى الباحث بأن عمله هذا يعتبر أول بحث يتم إجراؤه، في ذلك الوقت، حول إدارة الموارد الأثرية العمانية. وقد سعى من خلاله إلى التأكيد على أهمية مثل هذه الدراسات التي أهملت بشكل عام منذ أن بدأ البحث في علم الآثار في عمان في الخمسينيات من القرن الماضي. وقد دعا البلوشي في بحثه هذا إلى إعادة النظر في الممارسات الحالية للإدارة العمانية ومناهج بحثها، مقترحا حزمة من التحسينات عليها.

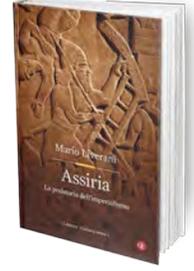
تتكون هذه الأطروحة من ثمانية فصول. الفصل الأول اشتمل على المقدمة، وحدد أهداف الدراسة ونطاقها وأهميتها. وقدم الفصل الثاني استعراضا للأدبيات المتعلقة بالتطور التاريخي والأطر النظرية والعملية السابقة والحالية في مجال إدارة الموارد الأثرية. وحدد الفصل الثالث المنهجية المستخدمة في إجراء البحث. والفصل الرابع اشتمل على مقدمة عامة عن عمان والجوانب السابقة والحالية والمستقبلية لنظام إدارة الموارد الأثرية فيها، ووصف الخلفيات البيئية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للبلد من أجل استكشاف طبيعة العلاقة بين هذه البيئات وإدارة الموارد الأثرية، وأعطى مقدمة للتطور التاريخي والوضع الحالي للبحوث الأثرية وإدارة الموارد الأثرية في عمان. والفصل الخامس وفر فحصا للسجلات الأثرية الحالية في عمان وتقييمها لها. والفصل السادس عرض نتائج التحليل الأولي لمحتويات السجل الجديد، هادفا إلى إظهار المزايا المحتملة لاستخدام السجلات الأثرية في تحديد طبيعة الموارد الأثرية في عمان وخصائصها. واستكشف الفصل السابع القيم المحتملة للسجلات الأثرية في إقامة شراكة بين إدارة الموارد الأثرية والسياحة في عمان. أما الفصل الثامن فقد ارتكز على مجموعة من التوصيات لإدارة الموارد الأثرية العمانية.



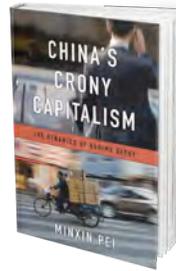
• «كل العلاقات تبدأ من طرق الحديث»
• كيم يوم جون



• «من أجل فلسفة جديدة للرعاية الطبية»
• إريك فورنييري



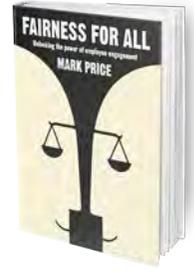
• «أشور.. إمبريالية ما قبل التاريخ»
• ماريو ليفراتي



• «ديناميات تسوس النظام الصيني»
• لينكسين بي



• «المباراة الطويلة»
• ديريك شوليت



• «العدالة للجميع»
• مارك برايس



• «أحاديث عن الإسلام»
• مجموعة مؤلفين



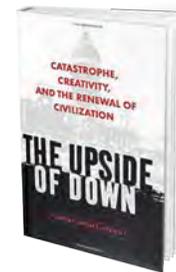
• «أرمجدون السوري»
• مجموعة مؤلفين



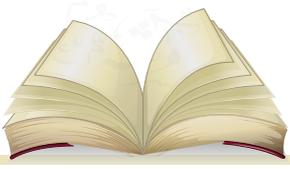
• «مأساة الكنيسة الروسية»
• ليف ريغيلسون



• «الرحلة إلى الربيع العربي»
• دود جوفرين



• «الكارثة والإبداعية والتجديد الحضاري»
• توماس هومر - ديكسون



آشور.. إمبريالية ما قبل التاريخ ماريو ليفراني

عز الدين عناية *

في السرديات الحديثة، غلب التعاطي مع الإمبريالية كظاهرة ترتبط عميق الارتباط بالعالم الحديث. وقد تدعّم هذا الرأي بتحليلات تأصيلية استندت إلى الرباعي حنة أرندت وفلاديمير ليتين وجون أكتنسون هوبسون وجوزيف شومبيتر، بوصف الإمبريالية شكلاً متطوراً من أشكال الاستغلال الطبقي. ماريو ليفراني مؤلف كتاب «آشور.. إمبريالية ما قبل التاريخ»، وأحد كبار المختصين العالميين في تاريخ الشرق القديم، لا يدخل في جدل مع تلك الطروحات وإن يشير إلى تهافتها بشكل خاطف. فهو يعيد قراءة تاريخ المنطقة المشرقية من خلال التركيز على آشور (ما بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد). مبرزا السمات الإمبريالية المبكرة التي طبعتها، على غرار الإمبراطوريات اللاحقة، مثل روما وبيزنطة وبريطانيا العظمى وإلى غاية الهيمنة الإمبريالية الرأسمالية التي يعيشها عالمنا اليوم: حيث السيطرة باعتماد سائر الوسائل المتاحة لتحقيق مصالح مادية واعتماد سلاح تأثيم المنافس وتشويهه، بقصد إضفاء طابع كوني على الرسالة الذاتية، وهي السمات التي لازمت كافة الأشكال الإمبريالية قديمها وحديثها.

الله وصورته على الأرض، كما تبرز التصورات الدينية السائدة حينها (ص: ١٠٢). وبالتالي يتحرّك الملك لغزو العالم بدفع من الرب: «بصولوجانك تمدد البلد والإله آشور يهبك السلطة والطاعة والعدل والسلم». فالرب آشور يحض الملك نحو أفق العالم البعيد قائلاً: «انطلق لا تخش شيئاً فأنا معك»، وهو ما يبدو جلياً في نشيد توكولتي نينورتا. نشير في الأثناء أن آشور في الأدبيات العراقية القديمة هو اسم الرب واسم البلد في الآن نفسه، تتغير دلالاته بحسب صيغ القول. ذلك أن الحافز الديني يعدّ محورياً في اجتياح العالم، حيث الأعداء لا دين لهم فهم «بدون آلهة»، أو أنّ ألهتهم وضيعة مقارنة بالآلهة آشور، أو كذلك هجرتهم ألهتهم لما اقتربوا من ذنوب وآثام، ليضعهم القدر في مواجهة القصص الآشوري.

تحت عنوان: «الحرب المقدسة والحرب العادلة»، يعيدنا ليفراني إلى مفاهيم قديمة جديدة رائجة في الخطاب السياسي اليوم. ذلك أنّ الحرب المقدسة غالباً ما تستمر بفعل حوافز دينية، بقصد نشر الدين الحق وإعلاء رأيه، في حين الحرب العادلة فبوصفها شرعية، فإن مقصدها وضع حدّ لعنف مستشر (أكانت حرباً دفاعية أو نصرة لمظلومين، أو كما نشهده اليوم بتعلّة التدخل الإنساني لحماية المدنيين). لقد تطوّر مفهوم الحرب العادلة في عصرنا إلى حدّ أمسى يضبطه قانون دولي، وفي الراهن الحالي غدا سمة الشعوب اللائكية الغربية. لكن ليفراني يبيّن أنّ مفهوم الحرب المقدسة والحرب العادلة في التاريخ القديم، وفي آشور تحديداً، كان شديدي الترابط. فلا وجود لحرب مقدسة غير عادلة، ومن هو على حق يحالفه النصر، وفق المنطق الحربي القديم، وبفوز الإمبراطورية قديماً تثبت بما لا يطاله الشك أنها متلائمة مع التكليف الإلهي (ص: ٢١٣).

السياسي. غير أن ذلك البرنامج السياسي الرّسالي قد يأخذ تولوات عدة عبر التاريخ، من هيمنة الطابع الديني عليه إلى غلبة الطابع المدني. لا يخفي ليفراني انتقاده لمفاهيم الإمبريالية المسيّسة السائدة في الراهن، والتي غالباً ما تصف إمبراطوريات الشرق القديمة والحديثة بكونها «إمبراطوريات الشر»، المروّجة للطغيان والعنف، والمفتقرة لأدنى خاصيات مراعاة حقوق البشر؛ في حين يغلب التوصيف على إمبراطوريات الغرب بكونها حمالة لرسائل حضارية مثل الديمقراطية والمدنية والتنوير والتقنية. والحال أن الخاصيات الجوهرية للإمبريالية، في الشرق أو في الغرب، هي نفعية بحتة، لإرساء أسواق أو استغلال ثروات أو ترويج منتوجات، أكان في القديم أو في الراهن، وما التبرير الإيديولوجي سوى غطاء، ولكن ضمن هذه اللعبة، تبقى الإمبراطوريات المستبطنة لمحضرات عسكرية هائلة أو لحمولة دينية قوية هي القادرة على التوسع والتمدد خارج إقليمها التقليدي. يعود ليفراني إلى تتبّع الخاصيات الإيديولوجية العميقة المحفزة للهيمنة الآشورية والمتمثلة في مقولة «الإله يريد ذلك»، أي يحضّ على التوسع وعلى إخضاع العالم (بمفهوم ذلك الزمن). فبأمر الإله آشور تندفع السلطة مسخرة كافة قواها لاجتياح العالم وامتلاكه. وما الملك الآشوري سوى منفذ للإرادة الإلهية الجارفة، فهو يشيد المعابد، ويقدم الأضاحي، ويقدم الطقوس لذلك الغرض النبيل، ومقابل ذلك تضمن الآلهة السلطة الكونية وتبجحها ضمن علاقة جدلية تكاملية. ومن هذه الناحية ثمة تقارب لآشور مع الصين من ناحية الفكرة الدينية المسماة بالتفويض السماوي، حتى وإن لم نعاين تبادلًا ثقافيًا بين القوتين في ذلك العصر. وضمن هذا التواصل الإلهي البشري، ما كان ملك آشور إلهاً، لا في حياته ولا بعد مماته، ولكنه ظل

يهدف الكتاب تحديداً إلى إعادة بناء الطابع الإمبريالي لآشور وليس إلى إثبات الريادة الإمبريالية في هذا المجال، أو إلى تتبع الخاصيات التي رافقت مختلف النظم الإمبريالية في القديم والحديث. حيث ينطلق ليفراني من تحديد مفهوم الإمبراطورية ليخلص من وراء ذلك إلى عرض مدلول صفة الإمبريالي كمفهوم سياسي يستبطن الهيمنة في جوهره. يعرف المؤرخ جون جيليسين الإمبراطورية في دراسة منشورة عام ١٩٧٣ بقوله: «هي كيان ذو سيادة يمتد على رقعة ترابية رحبة، ويضمّ جماعات سياسية واجتماعية متنوعة، ويمتدّ على فترة زمنية معتبرة، وتتركز فيه السلطة في قبضة موحدة، عادة ما تكون ذات طابع احتكاري وتتميز بطابع الهيمنة والعالية». وتذهب حنة أرندت إلى أن الإمبريالية هي مرحلة تمهيدية للتوتاليتارية، معتبرة ظاهرة الإمبريالية هي ظاهرة حديثة المنشأ على صلة بظهور البرجوازية وتطور التجارة المالية. غير أن ماريو ليفراني يعدّ ذلك التفسير قاصراً عن فهم الظاهرة في عمقها التاريخي، معتبراً أن ذلك الاستنتاج نابع من تأثير رؤى هوبسون ولينين وشومبيتر. وإن يكن دافع ذلك التفسير متأثراً من عاملي الهيمنة والاستغلال أساساً، فإن دينك العنصرين يحضران في الإمبرياليات القديمة أيضاً، وهو ما يسفه ذلك الطرح كما يرى ليفراني. تأكيداً لذلك التمشي، يعود ليفراني إلى توضيح التواضع الحاصل بين الإمبراطورية والإمبريالية (ص: ٧٥)، المشتقة من الكلمة ذاتها في اللسان الغربي. ذلك أن الإمبراطورية في مدلولها الأصلي هي تشكيل سياسي وامتداد ترابي يسعى بشكل دؤوب لتوسيع دائرة نفوذه وبسط هيمنته على سائر أرجاء الكون، سواء عبر السيطرة المباشرة أو عبر الرقابة غير المباشرة. لتشكل «الرسالة الكونية» جوهر برنامج الإمبراطورية



فكرة تبناها المؤرخ موردخاي كوغان ووردت ضمن بحثه المعنون بـ «الإمبريالية والدين» (1974)، وتلخص في أن آشور لم تلزم الشعوب بالخضوع للإله آشور، لكنها أملت مراعاة صارمة لآشور. وبالتالي يبدو التوحيد الآشوري توحيدا سياسيا واجتماعيا وليس توحيدا حنيفيا كما بدا جليا مع الديانات الإبراهيمية. وبفضل الطابع التعددي العام المهيمن مثل الخضوع للإله آشور خضوعا سياسيا أكثر منه دينيا. وهو تعامل سيتم تبنيه من قبل الفرس والمقدونيين والرومان أيضا، ولعله الشكل الديمقراطي المتسامح الذي أنتجه ذلك العصر، وهو مفهوم براغماتي سيتم تجاوزه مع قبل الديانات التوحيدية الإبراهيمية لإرساء نقاوة دينية بمنأى عن تداعياتها النفعية.

وأما في ما يتعلق بالتوحيد اللغوي، فهو يبدو سلسا ومصلحيا أكثر منه توحيدا لسانيا صارما. فلم تلزم آشور الشعوب الخاضعة لهيمنتها بلغة آشور، بل تركتها على اختلاف ألسنتها، غير أن الواقع وإن أتاح تعددية لغوية فقد كانت الغلبة فيه للسان آشور، حيث نلاحظ ضمن هذه الاستراتيجية التوحيدية أن الولاء للإله آشور كان مقدما على الولاء للسان آشور.

يكشف ليفراني عن تماثل بين التصور الإمبريالي القديم والتصور الإمبريالي الحديث، بدءا من فكرة الرسالة الكونية، التي تسعى إلى لم البشرية بأسرها تحت نظام رقابة خاضع للمركز، إلى فكرة اكتساب قوة اقتصادية ومناعة عسكرية.

أردف ليفراني كتابه الرصين بجملة من الفهارس والرسوم التوضيحية، راعت متطلبات الكتابة التاريخية العلمية. وأما عن خطة الكتاب فقد اعتمدت توزيع مضامينه إلى مواضيع شملت مفهوم الإمبريالية الآشورية ومظاهرها الدينية والسياسية والاقتصادية. وبرغم أن الكتابة في مواضيع التاريخ القديم غالبا ما تأتي جافة وثقيلة على غير المختص، فإن ليفراني قد وفق في صياغة نص متماسك بلغة سلسة لا تثقل على غير المختص.

نبذة عن المؤلف: ماريو ليفراني مؤرخ إيطالي معاصر، من كبار المختصين العالميين في تاريخ المشرق العربي. ساهم في كثير من الموسوعات العالمية المختصة، وهو أستاذ زائر في العديد من الجامعات الغربية. صدرت له عدة أعمال عن تاريخ المشرق القديم وقد ترجم بعضها إلى العربية: «أوروك.. أولى المدن على وجه البسيطة» (2012) و «تخيل بابل.. مدينة المشرق القديمة وحصيلة مئتي عام من الأبحاث» (2016).

الكتاب: آشور.. إمبريالية ما قبل التاريخ.

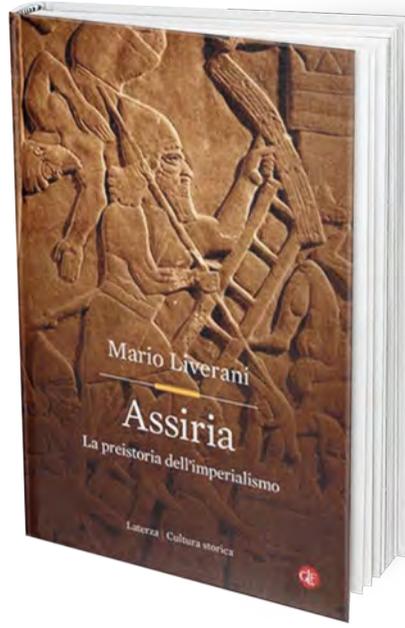
تأليف: ماريو ليفراني.

الناشر: منشورات لاتيرسا (روما) «باللغة الإيطالية».

سنة النشر: 2017.

عدد الصفحات: 384 ص.

* أستاذ تونس بجامعة روما

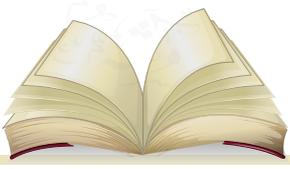


لكن لا يعني الترحيل التوجه بالضرورة نحو المركز، بل قد يكون نحو جهات تمليها حاجات المركز. حيث يتخلل الترحيل الفصل والمزج بقصد التوحيد، وبقصد تهشيم البنى الاجتماعية السياسية السابقة لخلق بني جديدة. فالترحيل هو سياسة تهدف أساسا إلى تفكيك البنية السياسية الإثنية للفضاء المغزو بقصد تقادي أي تهديد مرتقب. والملاحظ في سياسة الإمبراطورية الآشورية أنها على خلاف الاستعمار الحديث الذي يزحف نحو فضاءات جغرافية قليلة العدد ومتخلفة ثقافيا، فإن التوسع الآشوري يتمدد عموما باتجاه فضاءات تضاهيه تطورا تقنيا وثقافيا وتماثله من حيث العدد ديمغرافيا (ص: 251).

ومن السخف الحديث عن حقوق المواطنة المعاصر في نظام يطبعه الطابع الطغياني مثل الحكم الآشوري. ولكن ثمة مفهوما عاما سائدا، أن من تشمله هيمنة آشور يغدو آليا آشوريا، بيد أنه ينبغي التمييز في تلك السياسة المواطنة بين «الآشوري الأصيل» و«الآشوري الدخيل» نتاج السيطرة والغزو، فكل النوعين يخضع إلى الملك والألوهية المهيمنة المتمثلة في إزمات نظام السخرة والانضواء في الجندية (ص: 253).

وفي خضم ذلك التوسع الإمبريالي ثمة عنصران أساسيان يتمثلان في «التوحيد الديني» و«التوحيد اللغوي» بقصد خلق وحدة سياسة صماء. ويعتبر ليفراني أن نشر الدين الحق الخلقى والتوحيدي، هو من سمات المسيحية والإسلام على وجه الخصوص، ولكن آشور ككيان سياسي كان يحكمها التعدد الديني، حيث كل بلدة، وكل مدينة، لها آلهتها المميزة، أي بانثيون خاص، فكيف حلت آشور هذه المعضلة؟ يبرز ليفراني أن إله آشور هو صانع النصر والغلبة، وهو إله كوني متعال فسح حيزا للألوهة الأخرى. فالمهزومون بوصفهم آشوريين جدد، ينبغي أن يُقروا بعلو الإله آشور، وينبغي أن يتعلموا الخشية منه ومن الملك، ولكن لا يُكروهون البتة على التخلي عن آلهتهم، وهي

وفيما يدعم أطروحة الحرب المقدسة والعادلة، لم تخل استراتيجيات التوسع من توظيف عامل «الاكتشاف بقصد الغزو». فليست الاكتشافات الجغرافية سمة خاصة بالعصور الحديثة، بل هي دأب قديم لازم الإمبريالية القديمة أيضا، وكان موظفا بحسب مفهوم العالم في ذلك العصر. فقد كانت عمليات الاستكشاف لغرض توسيع سلطة آشور تتم تحت أشكال ثلاثة من الافتخار: الافتخار بشق طرق جديدة، والافتخار ببلوغ أراض قصية كانت في ما مضى مجهولة، وثالثها الافتخار بإخضاع ممالك ما كانت خاضعة من قبل لآشور. غير أن الاكتشافات القديمة تختلف شكلا عن الاكتشافات الجارية في العصور الحديثة، وما يميز الاكتشاف القديم أنه يجري وفي مقدمته الملك الآشوري، الذي يقود عملية الفتح الجديد، وهو ما يتم برّيا، بخلاف الاكتشاف الحديث الذي غالبا ما يجري بحريا، والذي يأتيه في العصر الحديث بحارة ورحالة وكشافون يرسلهم ملوكهم وسادتهم لتولي تلك المهمة. ولا بد أن نوضح أن مفهوم العالم قد تغير، حيث إخضاع العالم المراد به كل الأرض المعروفة في ذلك العصر، لذلك يتمثل الآشوريون خريطة العالم بناء على الرقعة الواقعة تحت سيطرتهم، وما خريطة العالم سوى خريطة الجغرافيا الخاضعة، وأما ما دون ذلك فهي جبال مهجورة وصحار مقفرة تقع خارج خريطة العالم. ولكن الملاحظ في هذه الرحلة التوسعية، أن الخضوع يعني الهيمنة ولا يعني السيطرة، وهو مفهوم قديم لازال سائدا إلى اليوم في الإمبرياليات الحديثة. ولا يعني أن الآشوريين ما كانوا على دراية بتواجد شعوب أخرى حولهم، سعوا إلى بسط هيمنتهم عليهم وتمديد «النظام» إليهم ووضع حد «للفوضى». والمقارنة بين الآشوريين والصينيين حينها تكشف أن الصينيين كانوا قانعين بتسيير العالم الخاضع لسيطرتهم، في حين كان يسكن الآشوريون هاجس التمدد، وهو الاختلاف الجوهرى بين الصينيين والآشوريين. حيث نجد انفتاحا لدى الآشوريين لتوظيف الشعوب الأخرى المنضوية تحت الهيمنة الإمبريالية الآشورية واستخدامهم، وهو ما يتشابه جليا مع الهيمنة الإمبراطورية البريطانية في العصر الحديث. وعلى خلاف الإمبريالية الحديثة التي تتعلل بتصدير ما يسمى بـ «الديمقراطية» و«الحضارة»، ساد في العالم القديم حافظ تصدير «الطغيان» كسبيل لدعم الهيمنة. فالشعوب التي يجرفها زحف الإمبريالية الآشورية، ليس لها الكثير من الخيارات: قبل الهزيمة ثمة خيار الاستسلام أو الفرار وبعد الهزيمة ثمة إلزام الدوبان والاندماج. فمن زاوية سياسية وبعد إقامة الحكم الجديد، عادة ما يغدو الخاضعون الجدد آشوريين سياسيا وقانونيا، وقد يبدو هذا للوهلة الأولى إيجابيا، ليتترجم الخضوع الفعلي في مسارين اثنين: الخضوع الجبائي أو الترحيل. وبالتالي يلزم الآشوريون الجدد بدفع الضرائب مثل غيرهم من الآشوريين، ويخضعون لنظامي السخرة والتجنيد. وأما الترحيل فغالبا ما يظال الصفوة، ويأتي لضرورات مادية يملئها المركز.



من أجل فلسفة جديدة للرعاية الطبية

إريك فورنيري

سعيد بوكرامي *

يشترك الطب مع الفلسفة في الاهتمام بقيمة ومعنى الوجود الإنساني. وتتجلى هذه القيمة في حالات إنسانية قاسية مثل: الخطأ الطبي أو الموت السريري أو معاناة العلاج من مرض عضال أو تداعيات العلاج المنهكة في الحياة اليومية للمريض ولأسر المرضى الذين يدخلون في صراع فيزيقي ووجودي غير مفهوم. إذا كان الطب يسعى لوضع حلول لمعضلات التوقف عن الحياة، فإن الفلسفة تحاول الإمساك بمعنى ما يجعل الحياة تستحق أن تعاش ويتم لها ذلك بواسطة المفاهيم والنظريات. لكن رغم القواسم المشتركة بينهما إلا أن العلاقة تميزت منذ البدء بالحماس المضط وتضارب المصالح واستمرت كذلك حتى يومنا هذا. الكثير من الأشخاص يخوضون تجربة العلاج من مرض ما دون أن يستوعبوا طابع المؤسسة العلاجية وقوانينها المنظمة وأن يدركوا أخلاقياتها المهنية كما أن جهلهم بأغزى سبل العلاج وقوانينه ومصطلحاته الطبية المتعددة والمتشعبة ذات الطابع التخصصي، يجعلهم عرضة للاستغلال والتضليل وربما السقوط ضحية النصب والاحتيال.

القانون، وتتجسد مباشرة في علاقة الثقة التي تحترم فيها القيم الإنسانية. لإيضاح ذلك استعان الكاتب بدراسة المفهوم الأرسطي عن الحذر كي يعطي شكلاً لأخلاقيات الرعاية الصحية التي يرغب في تتبع خطوطها العريضة. لكن شرط أن تأخذ في الاعتبار تميز الفرد ولاسيما في جزئياته، على الرغم من أن الفلاسفة، مثل مارثا نوسبوم وروين أوغين اللذين لم يتحقق بينهما دائماً اتفاق على إمكانية بناء علم أخلاق بناء على الخصوصيات الفردية، كما يزعم الكاتب. وهنا يكمن أيضاً الجدل كله، وبالتالي تعقيد هذه الأخلاقيات كلها التي يسعى فورنيري إلى بنائها:

كيف يمكن التفكير في علم أخلاق يسعى للكونية، ولكنه لا يحترم حالات معينة؟ خصوصاً أن أخلاقيات الرعاية الطبية في كثير من الأحيان هي حالات طارئة، وتستوجب اتخاذ قرارات سريعة، وغالباً ما تستبعد الآراء المختلفة، التي يتم تجاهلها لصالح الأخلاق الواجبة التي يسهل استعمالها، والتي تضيد أحياناً أنه يجوز إلحاق الضرر بشخص من أجل إنقاذ أشخاص آخرين. أي التضحية بحالة واحدة إذا كان لهذا الضرر تأثير على الصالح العام. ويعطي الكاتب في هذا السياق عدداً من الأمثلة السريرية التي تم فيها تجريب أدوية أو أشعة أو تجهيزات معينة لصالح التقدم الطبي والعلمي. اعتماداً على المبدأ الوسطي المتعارف عليه «مبدأ الضرر المسموح به» أي الخروج بأقل الخسائر في تعارض صارخ مع مبدأ الرعاية الصحية وإمكانية الحصول على العلاج بطرق أخلاقية ومهنية. وفي السياق نفسه يذكر الكاتب بأن الأخلاق المهنية هي جزء لا يتجزأ من الأخلاق الإنسانية الكلية وتستجيب لمجموعة من قواعد «حسن السلوك». وتندرج ضمنها الأخلاقيات الطبية، وتشير إلى قواعد المهنيين في مجال الصحة يخضعون لها في ممارساتهم اليومية داخل المستشفيات. وتنطوي على قواعد أخلاقية مشتركة

بالمرض والرعاية الطبية. وبلا شك يعود السبب إلى أن فورنيري متخصص في الموضوع ومعروف بأعماله عن الموت السريري والقتل الرحيم، بما في ذلك كتابه الصادر عام ٢٠١٢ بعنوان «اختيار الوفاة». يقترح الفيلسوف، والأستاذ بجامعة غرينوبل ألب مناقشات موضوع «القتل الرحيم»، تجربة فلسفية أصيلة، وهي أن يتواجد الفيلسوف في المستشفى ويتنقل بين العديد من المستشفيات الفرنسية لمواكبة الحالات والمعضلات وطرح التساؤلات ومحاولة إيجاد الأجوبة. وكانت النتيجة كتاباً عن التفكير الفلسفي المرتبط بمجال الصحة والعناية الصحية خاصة، بناء على العديد من المقابلات مع مقدمي العناية الصحية وكذلك المرضى وأسرهم.

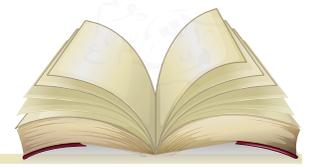
ويتمثل هدف الكتاب الثاني في توفير أدوات للوصول إلى التفكير في تجربة المرض التي تكون أحياناً مدمرة نفسياً واجتماعياً، بالمقابل يمكن أن يكون المرض وتحديد شروط الرعاية الصحية منسجمة ومماثلة لتلك في الحياة الجيدة (ص ١٣). وبعبارة أخرى، يتعلق الأمر بأخلاقيات العناية الصحية التي يجب الحرص عليها. وهذا ما يتمثله الفيلسوف وأول ما يلتفت إليه أثناء تأمله لهذه العلاقات لأنه ينبهنا إلى الأخلاقيات التي يجب أن تكون في خدمة الجميع، وخصوصاً لدى مقدمي الرعاية الصحية والمرضى أو المواطنين، لأن الصحة في الأساس، واليوم بالأخص أصبحت قضية اجتماعية كبرى، ومشكلة الجميع.

يبدأ المؤلف بتحديد المعنى الجماعي لمفهوم الضعف أو العجز الجسدي وقابلية المرض بين الأشخاص للتأكيد على أهمية الاعتراف بهشاشة البعض وصلابة آخرين في عالم الرعاية الصحية. ومن ثم يفصل الكاتب الاختلافات المتواجدة بين المفاهيم القياسية للمساظر والقيم، فبالنسبة إليه يجب الدفاع عن الحاجة إلى الأخلاق، التي تتجاوز الأخلاق الطبية أو احترام

ولتحليل هذه العلاقة وإزاحة التباساتها وتحديد أخطائها يأتي كتاب الفيلسوف إريك فورنيري: (من أجل فلسفة جديدة للرعاية الطبية) الصادر حديثاً عن دار لوميو بفرنسا، ليكشف عيوب وأخطاء وكواليس المؤسسة الاستشفائية وذلك من خلال العلاقة بين الفلسفة والطب بصفة عامة والفكر القانوني والإنساني والعلاج الصحي بصفة خاصة. وقد تحقق لإريك فورنيري ذلك من خلال إقامة طويلة ومضنية دامت سنوات داخل المستشفيات الفرنسية سابراً بمعرفة ومنهجية معاناة المرضى وأسرهم وبعض المكلفين بالرعاية الصحية. وكان من بين أهدافه تحديد طبيعة العلاقة بين فيلسوف متخصص بالأخلاقيات الطبية والممارسات العلاجية ومن ثم تشريح حالات معينة من الرعاية الطبية التي تبدو معقدة من حيث عيشتها والتفكير بها. وفي خضم ذلك قارب الكاتب المفاهيم المختلفة للأخلاق المهنية مستعرضاً القضايا الأخلاقية والاجتماعية للحالات المعقدة (إنهاء الحياة/ الموت الرحيم، استئصال الأعضاء والتبرع بها، التجارب السريرية المشبوهة، اتخاذ القرارات، مكانة الأقارب في الرعاية الصحية... إلخ) لأجل توفير بعض الوسائل اللازمة للتفكير وتشجيع التفكير النقدي لكل مواطن يواجه هذه الحالات.

الكتاب تجربة فريدة حول الفلسفة والأبعاد الإنسانية، لأنه يجعل من أهدافه الأساسية تقديم إجابات واضحة عن الوضع العلاجي، للمساعدة على التفكير في تجربة المرض، وعلاقة المريض من جهة بمرضه ومحيطه الاستشفائي وعلاقته بأسرته من جهة أخرى.

ازدادت المؤلفات الفلسفية المهتمة بالصحة والرعاية الصحية في السنوات الأخيرة، كما تزايد اهتمام عموم الناس بهذه الأسئلة التي يجعلها مجال فلسفة الطب ضمن اختصاصه. لكن كتاب إريك فورنيري يتناول بوضوح ودقة وإتقان، المشاكل الفلسفية المتعلقة



بدقة هذا البحث الفلسفي في عالم المستشفيات. إن ما قدمه إريك فورنيري حول أخلاقيات الرعاية الطبية وأهميتها في عالم العلاقات الاجتماعية انطلاقاً من الواقع المعيش داخل المستشفيات بما تحمله من جروح وآلام ومعاناة يبطل الإشاعة القائلة بأن الفلسفة في معظمها فكر مجرد! لقد دأب عدد من الفلاسفة المعاصرين على اختيار مجالات بحث تزج بهم في عمق الواقع المادي وقضاياها الاجتماعية. ونذكر منهم في أقوى تجليات ذلك الفيلسوف ميشيل فوكو الذي انطلق من تجربة استشفائه من الانتحار وإيداعه مصحة نفسية كي يؤلف لنا مدونة فلسفية ثورية عن الجنون والرعاية الصحية. ونذكر أيضاً ما تقوم به «سلسلة الفلسفة» التي يشرف عليها الفيلسوف الشاب ثيبو دوسانت موريس وتصدر فصلياً عن دار إيبسيس الفرنسية. لأنها تحاول أن تنزل بالفلسفة إلى الشارع والواقع المعيش وقضاياها الاجتماعية والأخلاقية والسياسية. ويمكن اعتبار إريك فورنيري أحد الفلاسفة الواقعيين، وهنا لابد من التذكير أن الكاتب حصل على جوائز مهمة منها جائزة علم الأخلاق في عام ٢٠١٤ التي تمنحها مؤسسة أستاذ-إلهي المرتبطة بجامعة باريس الخامسة. وجائزة لوموند للأبحاث الجامعية. ويعد فورنيري اليوم أحد المتخصصين في الأخلاقيات الطبية والقضايا المتعلقة بنهاية الحياة أو ما يسمى بالقتل الرحيم، والتبرع بالأعضاء. بل هو أيضاً من المتخصصين القلائل الذين ما زالوا يدافعون عن أخلاقيات مهنة الطب وحقوق الأفراد والجماعات في العلاج الصحيح مهما كلف من أموال باهظة وتقنيات دقيقة. لهذا يجري فورنيري «تحقيقات فلسفية» في المستشفيات حيث يقضي أوقاتاً طويلة أكثر مما يمضيه في مكتبه، للتباحث مع الأطباء والمرضات والمرضى وأسره. وقد قضى ثلاث سنوات في جناح طب الأطفال، ليغذي أبحاثه عما قد يهدد حياة الشباب البالغين أو المراهقين نتيجة علاجات مشبوهة. وهو أيضاً عضو في لجان الأخلاقيات في المستشفيات، في شامبيري، سانت مارسيلين أو غرونوبل. وأخيراً يمكن القول إن كتاب فورنيري نجح في إمطة اللثام عن إشكالات أخلاقيات المهن الطبية وعلاقتها بالمرضى، التي تعرف، للأسف، تجاوزات في حالات تنتفي فيها القيم الإنسانية والأخلاق المهنية. وفي حالات أخرى التزاماً، تحضر فيها، لحسن الحظ، المسؤولية المهنية والضمير الحي. إجمالاً كتاب إريك فورنيري دليل أخلاقي على الرعاية الطبية المعاصرة، يصف واقعاً طبياً مأزوماً ويوضح مفاهيم عن المشاكل الأخلاقية للرعاية الطبية بالمرضى تستلزم حلولاً يجب إيجادها من داخل المنظومة الصحية وليس من خارجها.

الكتاب: من أجل فلسفة جديدة للرعاية الطبية

الكاتب: إريك فورنيري

اللغة: الفرنسية

دار النشر: دار لوميو فرنسا.

سنة النشر: ٢٠١٧

الصفحات: ٢١٦ صفحة

* كاتب مغربي

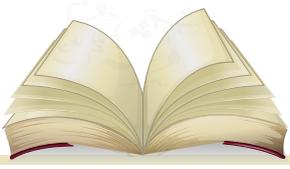


وانطلاقاً من هذا المنظور، يلاحظ أن الكاتب غير متحيز لأي طرف وهذا يدل على رغبته في إقامة حوار حقيقي وعادل بين مختلف الجهات الفاعلة في الرعاية الصحية، فهو يعامل مقدمي الرعاية الصحية بالاحترام الذي يستحقونه، كما يعامل المرضى بالتقدير اللازم، وبهذا يسعى الكاتب بطريقة عادلة ومتوازنة إلى معالجة الإسهامات الجليلة، فضلاً عن التجاوزات التي تحدث لدى هذا الطرف أو ذاك. ومع ذلك، فمن الشائع جداً في هذا النوع من التحليلات أن يكتفي الكاتب بتبرير المقاربات المحددة سلفاً أو جهات النظر الأيديولوجية. ولكن في كتاب فورنيري، لا شيء من هذا يوجد على الإطلاق. وهنا تكمن القوة الحقيقية للكاتب، لأن المطلوب الحديث بوضوح وبدون مناقشة القضايا المناصرة لتحسين العلاقة في الرعاية الصحية، يتوجه فورنيري أيضاً إلى مقدمي الرعاية والمرضى والمواطنين، كي يسهم الجميع في الانخراط في هذه الصيرورة الخدمية والإنسانية.

فرض الكتاب نفسه باعتباره أداة لا غنى عنها لأي شخص معني بالصحة، خصوصاً مدربي مقدمي الرعاية الطبية في المستقبل. لكن للأسف فإن تهميش العلوم الاجتماعية مثل الفلسفة في كليات الطب أو التمريض أو معاهد التدريب لا يزال مستمراً. وعلى هذا الأساس فإن الكتاب مرجع مهم لتقديم المشورة عن مفهوم الرعاية المستقبلية، بحيث يملأ فجوات التدريبات التي تركز على المعرفة التقنية والطبية الحيوية. بحيث يتمنى على جميع المواطنين والمتطوعين من جمعيات ومؤسسات المجتمع المدني وكذلك المعالجين المعتمدين والذين سيتكونون في المستقبل أن يتعرفوا على كل المشاكل التي تؤثر على الصحة، والتي هي في صميم توطيد ديمقراطية العلاج، انطلاقاً من مبدأ الحوار المستنير الذي يشارك فيها الجميع للتعبير عن صوته وإبراز مكانته. في الواقع الرعاية الطبية بالإضافة إلى أنها قضية صحية بامتياز هي أيضاً قضية سياسية واجتماعية، وهذا ما يذكرنا به بوضوح

بين الجميع، وقواعد علمية ومعنوية خاصة بكل فرد. يجب أن تتبج الأخلاقيات الطبية للجميع الحصول إلى الرعاية الصحية، في ظروف مثالية من الرعاية الطبية دون تمييز. وتعتبر السرية الطبية أو حرية المريض جزءاً لا يتجزأ من قواعد وأداب مهنة الطب. وهي من جهة مقننة ومراقبة من الجهات الوصية، التي يجب أن تفعل ديناميتها وتنزل من مكاتبتها لمعاينة الواقع الاستشفائي ومشاكله. ومن جهة أخرى، نحن نعلم أن سلطة الطبيب مقننة ومأطرة وأحياناً محمية من طرف جهات اقتصادية تشرف على صناعة الأدوية وهنا يورد الكاتب بعض الأمثلة عن قضايا لم يشرك فيها المرضى أو عائلاتهم في القرارات الطبية وكانت النتيجة خرقاً للقوانين وإساءة إنسانية للمريض وذويه. يدعو الكاتب في هذا الإطار إلى إضفاء الطابع المؤسسي والإنساني على الطب مركزاً على أهمية الرعاية الصحية الأخلاقية للمريض. وهكذا، لن تصبح الرعاية الطبية، الهدف الحيوي، فحسب بل يمكن اعتبارها تعبيراً عملياً ومعيارياً عن البنية الترابطية بين العلاقة: طبيب / مريض. طبيب / مجتمع، لتصبح الرعاية الصحية تعبيراً عن علائقية علمية وحقوقية وإنسانية متميزة في جميع المهن الطبية السريرية والعلاجية وشبه الطبية.

ومع ذلك، فإن المبادئ الكبرى التي تعزز احترام القانون لا ينبغي أن تؤدي إلى صراعات قيمية لأن خلاف ذلك قد يفضي إلى تدهور الرعاية الصحية نفسها وانهايار الانسجام في العلاقة بين المؤسسة العلاجية والمريض وتصدع أخلاقياتها. يؤكد فورنيري: «إذا كانت المثل مختلفة، فمن المهم عدم الاستسلام كثيراً لصفارات إنذار النسبية تاركين لكل شخص وضع معايير لأخلاقه الخاصة بل على العكس يجب أن تواجه التعددية بالتعاون والمناقشة، بدلاً من التراجع». لتفسي هذه العلاقة إلى «التفاعل بين الطبيب والمريض» وهنا الحاجة لمناقشة علم الأخلاق عند هابرماس كنموذج عند فورنيري، لأنه يمكن أن تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات وتوقعات وقيم الأفراد المعنيين، مع توفير مساحات للحوار المشترك. لهذا السبب ألف الفيلسوف عمله، واهتم بتفصيل معنى المعايير والقواعد والمفاهيم والمبادئ والقيم التي تنظم عالم الرعاية الصحية، وللسبب نفسه يمضي في الفصول الأخيرة لتوضيح المصادر التقليدية للأخلاق قبل أن يذكر بضرورة الزيادة من تكوين وتدريب مقدمي الرعاية الصحية للإلمام بالمعارف في العلوم الإنسانية والاجتماعية، أو بتعبير أدق لدمج هذه الطرق الأساسية ضمن التدريبات على التمريض. لأن هذا هو موضوع الكتاب في النهاية: ليس توفير لكل معالج الأدوات الضرورية فحسب، ولكن أيضاً قواعد للفهم والمشاركة في بناء رعاية صحية جيدة حاضراً ومستقبلاً. بيد أنها ما تزال تعترضها عوائق لتكريسها. لهذا يقترح الكاتب ما يلي: «يجب فسح المجال لرعاية صحية، بعيدة عن منطق الوصاية الذي يسود في كثير من الأحيان في المستشفيات، تترك للمرضى وذويهم مكان الصدارة للمرضى وذويهم، حرية الاختيار ص ١٢٢»



كل العلاقات تبدأ من طرق الحديث! لكيم بوم جون

محمود عبد الغفار *

يأتي غلاف هذا الكتاب مصحوباً بأمرين مهمين جداً من حيث التلقي: الصورة المرسومة التي تتوسط الغلاف. وخمس عبارات- من بينها العنوان- تحيط بتلك الصورة وتكشف الكثير عن مضمون الكتاب بشكل يعزز الرغبة في الاطلاع عليه. أما عن صورة الغلاف فلشخص جالس في صالون قص الشعر؛ أحد أكثر الأماكن التي يمكن للمرء أن يتحدث فيها بحرية مع الحلاق لأسباب عديدة؛ فالحلاق عادة ما يجيد لعب دور المستمع بحكم خبراته المتنوعة مع الزبائن. كما أنه يجيد اختيار أساليب الكلام المناسبة لكل شخص. فضلاً عن إجادته إظهار التعاطف والاهتمام لما يسمعه. وربما الأكثر أهمية من كل ذلك أنه لن يكشف ما يبوح به الزبائن بأسمائهم الحقيقية حتى وإن تحدث مع غيرهم فيما تحدثوا معه بشأنه، مما يجعل الجميع يتبادل الحديث معه بكل أريحية. فوق صورة الغلاف من ناحية اليسار يأتي عنوان الكتاب بخط عريض بارز، ثم ناحية اليمين تأتي عبارة بخط أقل بروزاً تقول «عادة بسيطة يمكن للأشخاص الجيدين أن يتذكروها». وفي أسفل الصورة تأتي عبارة بخط بارز تقول: «هذا الشخص أرغب في مقابلته مرة ثانية». وتحتها تأتي جملتان ربما تتعلقان بهوية هذا الشخص وما يتمتع به من صفات: «التلميح المناسب لجعل من نقابهم سعداء»، و«أسلوب الكلام الذي يَمَكِّنُك من أن تصنع مناخاً طيباً في لحظة عين». على هذا النحو المتميز جاء غلاف الكتاب الذي خرج في خمسة فصول نستعرض أهم ما تناولتها فيما يأتي.

التي نقول بها ما نريد للمستمع إلينا أن يدركه ويهتم به. الأمر بالغ الأهمية في هذا السياق في رأي المؤلف هو أن «أسلوب» أو «طريقة» الكلام هنا لا يعني «المنطق» الذي يحكم نسيج العبارات والأفكار وإنما يعني لديه إظهار «العواطف» أو «المشاعر» الخاصة تجاه ما نتحدث عنه ومن نتحدث إليهم، وهذا أمر ليس من المنطق بالمعنى المألوف لدينا في شيء. المثال الفذ المعبر هنا يأتي من الفصل الرابع في عبارة تقول: «اعتذار بسيط خير ألف مرة من عُذر منطقي». فالعبارات الجوفاء الخالية من الشحنات الانفعالية والعاطفية لا جدوى منها لأننا في نهاية المطاف بشر تحركنا عواطفنا بشكل يفوق الوصف. ولهذا عندما ندرك أو نتعرف جيداً على طبيعتنا وطبيعة الآخرين الذين نتواصل معهم، نصبح قادرين على تجديد دماء علاقاتنا بشكل طيب وفعال. عندما تتبدل الأدوار ونأخذ موقع المستمع، سنجد أننا أيضاً نركز على طريقة كلام الآخرين بدرجة أكبر من تركيزنا على ما يقولونه بالفعل. على أية حال علينا- بغض النظر عن دورنا كمتحدثين أو مستمعين- أن نضع في اعتبارنا الفوارق العمرية بيننا وبين الآخرين لأنها ترجح أسلوب كلام على الآخر، وكذلك علينا أن ندرك أن «كل موضوع» يفرض الأسلوب المناسب لطرحه. اختيار الموضوع ربما ليس لنا يد فيه في مواقف كثيرة، ولكن لنا دور بكل تأكيد في اختيار الكلمات، ونملك تجنب التمثيلات التي تبت في المستمعين طاقة سلبية أو تؤدي لسوء فهم ليس مرغوباً فيه إطلاقاً. مما يجب وضعه في الاعتبار كذلك «المكانة»

في الكلام بكل ما يمتلكونه من روعة. إن طريقة كلامنا بدون شك تجعلنا مقبولين أو تدفع الآخرين للنفور منا! ولهذا فالغرض الأساسي من هذا الكتاب هو إرشاد القارئ إلى كيفية التعبير الجيد في المواقف المختلفة، وتجنب التعبيرات السلبية التي لا تحقق الغرض من تواصله مع الغير، بحيث يكون لكلامه دور في مد جسور الثقة والمحبة مع الآخرين وليس العكس. أهم ما يؤكد عليه المؤلف هنا هو أن طريقة كلامنا ليست «فطرة» وإنما «عادة» يمكننا تغييرها بالتعلم على النحو اللائق المفيد. كيم بوم جون يتحدث هنا من منظور خبراته العملية، فقد كان يروج لمنتجات الشركات التي عمل بها، ولذا لديه الكثير من الإدراك لقيمة الكلمات والأهم أسلوب الذي نقولها به، وما يؤديه ذلك في التأثير على المتلقي. من هذه الزاوية يسعى الكتاب لزيادة وعي القراء بأهمية الدور الذي تقوم به طريقتنا في الكلام في بلوغ مآربنا على المستويين الإنساني والعملية في حياتنا.

جاء الفصل الأول تحت عنوان «يبدو الناس مختلفين عندما تتغير طريقتهم في الكلام». يركز هذا الفصل على مسألة أن «أسلوب الكلام» مجرد «عادة» وليس «فطرة»، ونحن غالباً ما نحكم على الآخرين من خلال عاداتهم في القيام بالأشياء ومن بينها عاداتهم في الكلام. يتناول الفصل بعد ذلك مسألة الحاجة إلى مهارة الكلام مقابل الحاجة لأسلوب خاص في الكلام، مؤكداً على أن طريقة الكلام أهم لتحقيق الغرض من التواصل من أي شيء آخر. فالمهم هنا ليس ماذا نقول وإنما الطريقة

مؤلف الكتاب: كيم بوم جون تخصص كيم بوم جون في الاقتصاد بجامعة «كوريا» وعمل في عدد من الشركات الكبرى مثل «إس كي» و«سامسونغ» و«إل جي»، كما كان متحدثاً باسم بعض تلك الشركات إلى جانب بعض المؤسسات المالية مثل بنك «كي بي»، بالإضافة إلى عدد من المؤسسات التعليمية والتكنولوجية مثل «كيسست». ساهم كل ذلك بدون شك في قيامه بنشر عدد من المؤلفات المهمة خلال تلك الفترة. كان في شبابه مجرد عامل أو موظف عادي في إحدى الشركات، ولكنه أراد لنفسه حياة أفضل. سعى وراء أحلامه، ولما وجد أن قيامه بكل تلك الأعمال لن يمنحه ما يريد، ترك العمل وتفرغ تماماً لدراسة اللغة الإنجليزية، الأمر الذي منحه الفرصة لبيحث عن معنى السعادة وبخاصة بعد أن سمحت ظروفه بأن يقضي وقتاً أطول مع أسرته. حالياً يدرّس في الجامعة ذاتها التي تخرج فيها في مجال التكنولوجيا والتعليم. له عدد من الكتب مثل: «كلمات الأب التي غيرت أبنائي»، و«تعبيرات المجاملة الجيدة والسليمة»، و«المحادثة الممتعة»، و«متحدثاً كعامل»، و«كما يتحدث الرجل»، و«التعليم الإنساني للأب». يبدأ الكتاب بمقدمة يقول فيها المؤلف إننا عادة ما نجد أولئك الناجحين يتمتعون بأساليب كلام مختلفة ومتميزة تثير الإعجاب. فطريقة أو أسلوب الكلام فعلاً بالغ الأهمية في إقامة علاقات موفقة مع الآخرين. لماذا يشدد المؤلف على كلمة «فعالاً» في العبارة السابقة؟ لأن بعض الأشخاص الرائعين الذين لديهم مهارات خاصة ربما تطيح طريقتهم



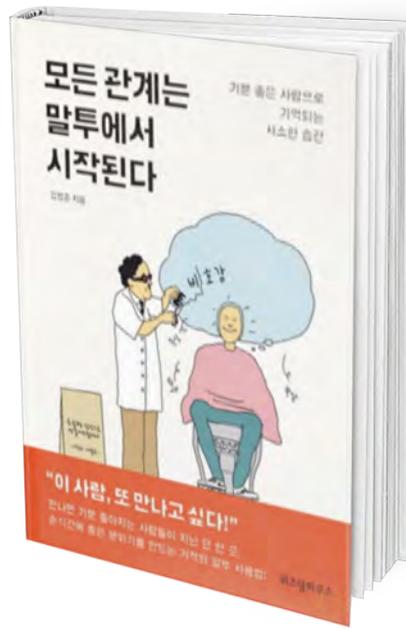
- إذا جعلت الآخرين يشعرون دومًا أنك تعرف ما يدور برؤوسهم فهل سيحافظون باهتمام على التواصل معك؟
- تجنب المبالغة في إظهار التعاطف مع نقاط ضعف الآخرين حتى وإن كان الجميع يعرفونها جيدًا. فالتعاطف أمر آخر مختلف عن هذا، فضلًا عن أن الخوض في نقاط ضعف الغير يسبب دائمًا الكثير من الأذى الفعلي.
- الاعتذار البسيط خير ألف مرة من العذر المنطقي.

- المسافات بيننا وبين الآخرين مهمة، وكذلك التوقيت. فالاعتذار عن الخطأ له وقته المناسب الذي قد يفقد قيمته إن تجاوزه.

الفصل الخامس والأخير بعنوان «طريقة التعبير عن الذات بقوة لا بعدوانية». يتحدث فيه المؤلف عن ضرورة التعرف على نقاط القوة والضعف فينا لنكون قادرين على توظيف قدراتنا بشكل إيجابي وفعال. يرى المؤلف مثلاً أن التعبير عن المستحيل باعتباره ممكنًا لا يوصف بالقوة التي يعنيهها في عنوان هذا الفصل. القوة عنده تعني «التواضع» الذي يمكنك من أن تقول «لا أستطيع القيام بهذا العمل»، أو «لا تتحدث معي هكذا» لشخص آخر دون أن تنتقص من قدره ولا من قدر نفسك، ودون أن تحمل عباراتك معاني عدوانية حتى وإن كانت محملة بطاقة سلبية جراء رفضك. في أعقاب مثل هذا الرفض عليك أن تتعلم كيف تضع خطوطًا إيجابية دائمًا. من طرق التعبير عن الذات على نحو طيب كذلك أن تستخدم صيغ الغائب دون إشارة إلى نفسك أو إلى آخرين محددين. عليك أن تدرك أيضًا الفارق الكبير بين الحديث الذي ينم عن طبيبتك والعبارات التي تخرج كما لو كانت اعترافًا بحمل الكثير من نقاط الضعف. ثم يختتم هذا الفصل بمقولتين مهمتين: الأولى؛ علينا أن نراجع مدى محبتنا لأنفسنا ومدى تحملنا لما نواجهه في الحياة بشكل يومي وأن نضع أيدينا على الدور الذي ساعدنا فيه أسلوب كلامنا لنكون أفضل. والثانية؛ عدم إقحام كل معارفنا ومطالعاتنا فيما نقول لأجل إبراز تميزنا الثقلي والمعري. فربما لا يؤدي ذلك إلى النتيجة التي نرجوها من تواصلنا مع الغير.

عنوان الكتاب: كل العلاقات تبدأ من طرق الحديث!
المؤلف: كيم بوم جون
اللغة: الكورية
سنة النشر: يونيو 2017 م
دار النشر: ويسدوم هاوس - سيول
عدد الصفحات: 200

* مدرس الأدب الحديث والمقارن، كلية الآداب - جامعة القاهرة



يشعرون بالاحترام مهما بلغت حساسية سؤالك. أن يحس الآخرون بالاحترام هذا أحد أهم المفاتيح السحرية لبلوغك ما تريد. - التخلي عن بعض صيغ الكلام المفضلة لديك إن كانت لم تساعدك في تحقيق مرادك من التواصل، وتعلم كيفية التركيز على النقاط ذات القيمة والأولوية، وبخاصة ما يعبر عن المشاعر الإيجابية طوال الوقت - في مجال التسوق- كما في الحياة
- أكثر الطرق في الإقناع هو التجارب العملية لا العبارات التجريدية.

- ضرورة إدراك النقاط الإيجابية في الآخرين والتركيز عليها والحرص على ذكرها أمامهم، لأن ذلك يجعلهم يفتحون قلوبهم إليك دون تردد. لكن عليك أولاً أن تكتشف هذه النقاط وتحددها بدقة.

- عبارات مثل «نعم» و«أنت على حق» تضمن لك بكل تأكيد تواصلًا ناجحًا. عندما تكون في موقع المستمع؛ فكلما قللت من مقاطعتك للمتحدث إليك حظيت بتواصل موفق وكانت النتائج أكثر جدوى. ثم يختتم هذا الفصل بمثال بالغ الأهمية. فيقول: تخيلوا الفارق بين هاتين العبارتين من حيث التأثير على المتلقي المستهدف: «سأبيع هذه السيارة بمليون ونصف المليون وون كوري»، و«سأعطيك أنت هذه السيارة بمليون ونصف المليون وون كوري».

العبارة الثانية- على حد تعبير المؤلف- تجعل المشتري أو الزبون يحس بمدى الاهتمام به من قبل الجهة التي تروج لمنتجها.

الفصل الرابع عنوانه «طرق الحديث التي ينبغي أن نتجنبها». ومن بين هذه الأساليب ما يأتي: - تجنب كل ما يقلل من شأن الآخرين؛ لأنه قد يؤدي إلى

أن ينصرف الناس من حولك.

- الحسم أو الاقتصاد في القول دون ضرورة قد يؤدي إلى قطع العلاقات أحيانًا.

الإنسانية أو الوظيفية لنا وللآخرين. فقبل أن نشرع في الحديث، علينا أن نحدد بوضوح موقعنا ومكانتنا جيدًا في ضوء مواقع الآخرين ومكانتهم. ثم يختتم المؤلف هذا الفصل بالتأكيد على ضرورة أن نتخلص من أساليب الكلام التي تؤدي إلى شعور الآخرين بالحزن أو تزج بهم نحو حالات شعورية سيئة، وأن ندرك باستمرار أننا قادرين على الحصول على ما نريده من خلال الحديث بأساليب تمتزج بالحب والتعاطف.

الفصل الثاني بعنوان «طريقة الكلام التي تُشعرك بالراحة كلما وحيثما تحدثت!». يتناول المؤلف هنا عددًا من الكلمات التي يمكن وصفها بالسحرية من حيث قدرتها على دعمنا لبلوغ مقاصدنا في الحديث بفتح مغاليق النفوس التي تستمع إلينا على مصراعيها. من هذه الكلمات التي يجب أن تكون في حواراتنا: «شكرًا» و«أثقتك فيك» أو «أثقت فيما تقول». ثم يتوقف المؤلف عند مسألة مهمة؛ ما نسميه بالعربية «الحقيقة المرة» أو ما يطلق عليه هو «الوضوح الذي يدخل في عداد الوقاحة».

ويرى أنه يجب علينا أن نتعلم كيفية قول الحقيقة دون انتقاص من قيمة الآخرين أو جرح مشاعرهم. فطريقة كلامنا تحتاج عادة إلى بعض «مساحيق التجميل» التي تلخصها العبارة البسيطة التالية: «اختيار الكلمات المناسبة حسب الموقف وطبقًا لهوية الذين نتحدث إليهم».

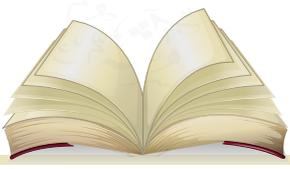
من مساحيق تجميل الكلام كذلك «التظاهر بأنك لا تعرف حتى وإن كنت تعرف الكثير». هذا التظاهر سيجلب لك الكثير من المعرفة التي ربما لم ولن تتوقعها أبدًا، فضلًا عن أنه يعزز من رغبة الآخرين في الحديث إليك. فلماذا يقبلون على الحديث معك مجددًا إن كانوا قد تيقنوا في مرات سابقة أنك تعرف كل شيء مقارنة بهم؟ ومن بين هذه المساحيق كذلك إظهار مدى قبولنا للضوايق بيننا وبين الآخرين. فعندما يدرك الناس أنك تقر بأنهم ليسوا نسخة منك ولا نسخًا من غيرهم ستجدهم مقبلين عليك، راغبين في الحديث معك. ثم يختتم هذا الفصل بمقولة مهمة لأحد علماء النفس الأمريكيين «ماجووير»

مفادها إنه ليس من الصعب على ذي الخبرات الكبيرة إقناع الأشخاص الأقل خبرة. الهدف من هذه المقولة هو رغبة المؤلف في التأكيد على أن خبراتنا لها دور كبير في قدرتنا على اكتساب أو تعديل أساليب كلامنا على النحو المأمول.

الفصل الثالث بعنوان «عادات الكلام التي تجعل العلاقات والعمل على نحو أفضل». ويستهل كيم بوم جون هذا الفصل بالقول إن العبارات التي تقال في المقهى تختلف تمامًا عن تلك التي تقال في قاعة المؤتمرات العلمية. ثم ينتقل بعد ذلك إلى عدد من النقاط مثل: - عندما تكون لديك مهارة طرح الأسئلة، فغالبًا لن يتم حجب سؤالك. فجزء من مهارة طرح الأسئلة هنا هو أنك جعلت الآخرين

تعدّل أساليب كلامنا على النحو المأمول.
الفصل الثالث بعنوان «عادات الكلام التي تجعل العلاقات والعمل على نحو أفضل». ويستهل كيم بوم جون هذا الفصل بالقول إن العبارات التي تقال في المقهى تختلف تمامًا عن تلك التي تقال في قاعة المؤتمرات العلمية. ثم ينتقل بعد ذلك إلى عدد من النقاط مثل: - عندما تكون لديك مهارة طرح الأسئلة، فغالبًا لن يتم حجب سؤالك. فجزء من مهارة طرح الأسئلة هنا هو أنك جعلت الآخرين





العدالة للجميع لمارك برايس

فاطمة بنت ناصر *

هناك اتهام يشير إلى غياب الثقة بين (القطاع الخاص) و(المجتمع) ولكن دعونا نتساءل من هو المجتمع؟ أليس المجتمع إلى حد بعيد يمثله ذات الأفراد العاملين في القطاع الخاص؟ بهذه الجملة التي تضع المؤشر نحو حقيقة نتجاهلها تتمثل في كون طبقة العمال في القطاع الخاص تحديداً هم الجزء الأكبر من المجتمع، وأن التحديات التي يواجهونها لا تمثلهم وحدهم ولكنها تواجه المجتمع بأسره. ولنتساءل هنا ما الذي يجعلنا نفصل بين المجتمع وأفراد القطاع الخاص؟ لعل ذلك يعود إلى الفرق الكبير بين العاملين في هذا القطاع، فهناك رؤساء هذا القطاع والذين غالباً يكونون مصدر اتهام في تدني أحوال عمال هذا القطاع واستثمارهم بالسلطة والمال. ونلاحظ في المقابل أن الطبقة العاملة في سلك الإنتاج في هذا القطاع تواجه تحديات تاريخية وتحدياتها اليوم ليس سوى استمرار لها. فالزمن ينتج لنا المعدات الآلية التي تستبدل البشر، كما أن الزمن يدفع بعض الجنسيات للهجرة وهذه الجنسيات تشكل لاحقاً مصدر تحدٍ للعمالة الوطنية حيث ترضى برواتب قليلة وقد تعمل لساعات أطول، وهناك تحديات كثيرة على هذه الشاكلة. وفي مقابل هذه التحديات يزداد الأغنياء غنى وهذا ما يجعل أمر نجاح إدارة العلاقة بين الرئيس والمرؤوس سر نجاح واستمرارية هذه المؤسسات. في هذا الكتاب الذي يستعرض تجربة شخصية لرجل إدارة ناجح وضيع بهذه التحديات نجد أجوبة وحلولاً أثبتت نجاحها الباهر رغم بساطة فكرتها.

ويعتبر مصلحة المجتمع جزءاً من تحقيق مصلحته الشخصية، فإن المؤسسات ينبغي أن تكون كذلك مؤسسات مسؤولة تعطي للمجتمع كما تأخذ منه ولا تركز على الأخذ دون عطاء. وقد حث الكثير من الأديان على سلوكيات تحث على هذا المبدأ. وقد أورد الكاتب ما حثت إليه الديانة اليهودية من عدم زراعة الحقل في السنة السابعة وذلك لتذكير صاحبه بأنه لا يملك الأرض وإنها هبة الله. والكثير من الأديان تدعو إلى تحمل الإنسان المسؤولية عما هو حوله وفيما لا تزال الأديان والفلاسفة وغيرهم يدعون إلى هذه المسؤولية إلا أن الممارسات توضح أن هناك حفنة قليلة من أصحاب الأموال يلحقون ضرراً كبيراً بالبيئة وبما هو حولهم. إن وجود مؤسسات فاعلة اجتماعياً يؤدي إلى وجود موظفين فاعلين اجتماعياً كذلك فهذا الموظف يدرك أن عمله سيعود بالنفع على محيطه وهو مستفيد على كل الأصعدة.

أمثلة ملهمة عن الموظف الشريك هناك قصة قصيرة ملهمة يعرضها الكتاب عن كيفية معرفة الموظف الشريك والذي يشعر بالولاء والمسؤولية ويعي قيمة عمله وأهميته. تقول القصة إن حارساً يعمل في وكالة (ناسا) الفضائية سئل من قبل مجموعة من الزوار عن ماهية عمله في ناسا؟ فأجابهم: أنا أقوم بإرسال البشر إلى سطح القمر. مثل هذه القصة تجعلنا نتساءل كيف سنجيب إن تم سؤالاتنا ذات السؤال والإجابة التي سنجيبها ستعكس ما إذا كنا نسعى إلى كسب المصلحة الشخصية فقط أم كنا موظفين نشعر بالولاء والارتباط بالمؤسسة التي نعمل بها.

(من حيث الممارسة)

أما من حيث تطبيق المبادئ سألنا الذكر فيقتصر الكتاب من واقع تجربته تطبيق ستة أمور وقد

أصبح هو أحد أصحاب رأس مالها، وبالتالي يسعى إلى تحقيق النجاح لمؤسسته الخاصة والعامة في نفس الوقت.

رضا وولاء الزبائن

لا يمكن تحقيق هذه الغاية دون تحقيق الإشراك السابق ذكره. فالموظف الشريك يسعى لكسب ولاء ورضا الزبائن باعتبارهم أهم أهداف تحقيق الشراكة. في تجربة شركة لوييس التي ذكرناها قامت الشركة بتطبيق فعال لهذا المبدأ، وذلك عن طريق ربطه بتوزيع المكافآت السنوية. فالموظف يأخذ حصته من المكافآت السنوية على ضوء الأرباح الكلية التي تحققها الشركة ويتم توزيعها بشكل نسب على كل موظف تبعاً لراتبه الشهري. لهذا وجدت الشركة أن الجميع يتكاتف لنيل رضا الزبائن. فالزبون السعيد غالباً ما يكون ولاؤه أكبر وهذا بدوره ينعكس على الأرباح التي تحققها الشركة والتي يسعى الجميع إلى تحقيقها لنيل مصلحتهم الشخصية التي لم تفصل عن مصلحة الشركة ككل. لهذا لا نرى تنافساً فردياً قائماً على مصلحة شخصية كالذي تقوم به بعض الشركات من ربط مكافأة الموظفين بتحقيقهم عدداً معيناً من المبيعات. وبالتبعية سنجد أن جودة الخدمة تتحسن وذلك مرة أخرى يعود إلى سعي الجميع لتحقيق هدف واحد يحقق مصلحة جميع الأطراف.

تحمل المسؤولية

إن المؤسسات التي تعي قيمة وأهمية المسؤولية المجتمعية نراها تحقق نجاحاً أكثر استدامة من غيرها. فالشركات القائمة على تحقيق استفادة قصيرة المدى مقابل إلحاق الأذى البيئي أو المجتمعي هي مؤسسات فاسدة أخلاقياً ولا تحقق الرضا بين أفرادها ولا من يحيطون بها. فكما نشهد أن ننشئ مواطناً مسؤولاً يهتم بمن حوله

(من حيث المبدأ)

الأهداف غالباً ما تحدد جودة النتائج. الأهداف النبيلة تحقق نتائج مبهرة، إلا أن الأهداف النبيلة أصبحت منسية في ظل التنافس الرأسمالي الجشع. يقول الكاتب إنه حضر ورشة على مستوى الإدارة التنفيذية وكان سؤال المحاور لهم: ما هدف الرئيس التنفيذي لأي شركة؟ فتفاوتت الإجابات من الرؤساء إلا أن أغلبها ركز على تحقيق الأرباح المادية. ويقول الكاتب إن إجابته عن هذا السؤال كانت محل استغراب من الكثيرين، حيث أنه جاب بقله: «غاية الرئيس التنفيذي يجب أن تكون تحقيق أعلى معدلات السعادة للعاملين معه». يرى الكاتب أن سعادة العامل هي السبب الأهم لنجاح أي مؤسسة. ولكن كيف تكون السعادة مفتاحاً للنجاح؟ بحسب المؤلف: إن الموظف السعيد يعكس سعاده على محيطه وعلى المجتمع ككل. فالسعادة تتبع بشكل رئيسي من إحساس ملك زمام الأمور والسيطرة والشعور بالرضا والإيجابية للبيئة المحيطة بنا».

ويفصل الكاتب طريقة تحقيق هذا النجاح بالحديث عن المبادئ النظرية وعن الطرق التطبيقية التي ستحقق النجاح المؤسسي الأمثل والذي لا يهمل فيه أي عنصر لصالح الآخر.

أما المبادئ الثلاثة فهي:

إشراك الموظفين

الشراكة بين الموظفين والرؤساء في إدارة شؤون المؤسسة يجعلهم جميعاً يتحملون مسؤولية نجاح أو فشل المؤسسة. تتنوع طرق إشراك الموظفين ولعل من أبرز هذه الطرق (تمليك الموظفين) تمليك الموظفين نسبة من الشركات التي يعملون بها أثبت أنه يحقق نجاحات باهرة. فالموظف في هذه الحالة لم يعد أداة لجلب المال لصاحب المؤسسة ولكن



بروح الفريق الواحد، كما أنها تجعلهم يشعرون بأن مؤسستهم التي ينتمون إليها تحمل مبادئ إنسانية وأخلاقيات نبيلة، وهذا بدوره يعزز من ولائهم اتجاهها.

الرضا الوظيفي

يقول إبراهيم لينكولن «الناس الذين يستحقون الثقة المطلقة ويحظون بها سوف يردون جميل هذه الثقة». تحقيق الرضا الوظيفي يأتي من تطبيق كل ما سبق ذكره. فالوظيفة التي تمنحه المؤسسة الثقة والتقدير والمكافأة والعناية به وبالمجتمع من حوله، سوف يرد هذا العطاء بلا شك. كما أن معاملة الموظف كإنسان له وقته الخاص الذي تحترمه المؤسسة يجعل الموظف أكثر عطاءً في الوقت المخصص للعمل. ويعرض الكاتب مثالاً ملهماً لما قامت به شركة Waitrose حين قامت بتوزيع أجهزة الآيباد على موظفيها فقد أرفقت بها ملحوظة تقول: «لا نعتقد إننا نتوقع أو نرغب منك أن ترد على الإيميلات بعد الساعة ٦ مساءً أو قبل الساعة ٨ صباحاً - وهي ساعات الدوام الرسمي بالشركة».

ينهي الكاتب كتابه بالحديث عن أهمية التعددية في بيئة العمل وأثرها في تطور الأفراد. فالبيئة التي تحتضن التوجهات المختلفة والآراء المتباينة تكون أكثر إبداعاً وثراء من تلك البيئة التي يسود فيها رأي واحد فقط. وأخيراً يؤكد المؤلف على أهمية وجود أدوات لقياس سعادة الموظفين وهناك طرق عديدة لمعرفة مدى سعادتهم في بيئة العمل سواء بتصميم الاستبيانات أو بوجود مجلات ونشرات داخلية تعرض آراءهم ومقترحاتهم لتحسين بيئة العمل، إلا أن الأهم من كل هذا هو إيمان المؤسسة بأهمية هذه الآراء وأن تفعل كل هذا عن قناعة وليس عن فرض وإكراه.

الكاتب في سطور:

اللورد مارك برايس (MARK PRICE) رجل أعمال بريطاني معروف، له خبرة طويلة في إدارة أبرز الشركات البريطانية كشركة: وايتروس وجون لويس (WAITROSE / JOHN). التحق بالحكومة عام ٢٠٠٦ كوزير للتجارة والاستثمار ممثلاً عن الحزب المحافظ.

عنوان الكتاب: العدالة للجميع Fairness For All

المؤلف: مارك برايس Mark Price

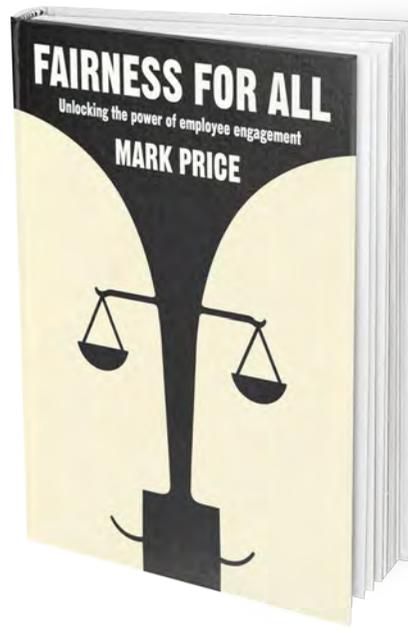
الناشر: منشورات ستور Stour Publishing

سنة النشر: ٢٠١٧

عدد الصفحات: ٢٧٠

اللغة: الإنجليزية

* كاتبة عمانية



الموظفين الذين تحصل عليهم تلك المؤسسة. فهذا الموظف الذي يستشعر بعدم أهميته وإهمال المؤسسة له غالباً لا يعطي المؤسسة بالقدر الذي تتوقعه منه. على سبيل المثال نجد الاقتصاد البريطاني يتكبد خسائر سنوية تقدر ب ٢٩ بليون جنيه إسترليني وذلك بسبب غياب الموظفين وتقدر هذه البيانات إهدار ١٣٠ مليون يوم عمل. إن تقليل نسبة غياب الموظفين وزيادة صحتهم النفسية والجسدية ينعكس على زيادة الإنتاج واستقرار أحوال الاقتصاد.

غرس الاعتزاز والفخر

يعد الاعتزاز والفخر من أهم الحوافز التي تجعل الفرد يقدم ويبدل أفضل ما لديه. وقد نشر المعهد المعتمد للأفراد والتنمية ما يوضح بأن ٤.٠ فقط من الموظفين الذين شملتهم الدراسة في بريطانيا يشعرون بالفخر بعملهم وهذه النسبة في تناقص. إن الشعور بالفخر والاعتزاز اتجاه ما نعمل يجعلنا أكثر إيجابية وتسويقاً للمؤسسة التي نعمل بها. فالوظائف الفخورة ينعكس فخره بالمؤسسة من خلال أحاديثه مع زملائه والمتعاملين مع جهة عمله. وهذا الأمر بدوره يساهم في نجاح المؤسسة وتسويقها بشكل جيد. هناك ارتباط وثيق بين شعور الموظف بالفخر في عمله ومدى مساهمة جهة عمله في مساعدة وتنمية المجتمع من حوله، فكلما زادت المؤسسة من أدوارها الإيجابية ومساهماتها الفعالة في خدمة المجتمع زاد الفخر في نفوس من يعملون فيها. من الأمثلة التي عرضها الكتاب في هذا الشأن هو قيام الخطوط الجوية البريطانية بتسيير رحلات سنوية لموظفيها لتقديم مساعدات لبعض المناطق المتأثرة بالكوارث الطبيعية. وفي هذا الأمر عدة فوائد فتسيير هذا النوع من رحلات الإغاثة يعلم الموظفين كيفية اتخاذ القرارات وإنجاز المهمات

سماها (الخطوات الست لتحقيق السعادة في بيئة العمل) وهي:

التقدير والمكافأة.

لا يتعلق الأمر هنا بالمال؛ فالراتب المجزي لن يجعل الموظف أكثر مسؤولية اتجاه عمله ولن يجعله كذلك يشعر بالانتماء والفخر لما يقوم به. إذن ما الذي يمكننا فعله لتحفيز الموظف؟ يستشهد الكاتب بعالم النفس فريدريك هيرزبيرج Frederick Herzberg ونظريته المتعلقة بـ (التحفيز في بيئة العمل) والتي يشدد فيها على عدم جدوى المال في تحفيز الموظف مالم يلازم ذلك شعور الموظف بأن هناك من يقدر مجهوده. وهناك عوامل كثيرة تساهم في تعزيز التحفيز ومن أهمها: المسؤولية التي يتحملها الموظف، وحس الإنجاز في تحقيق الأهداف التي عليه القيام بها، وتقدير المؤسسة للجهود التي يقوم بها. من المؤسف إننا نجد في واقعنا الكثير من المؤسسات تساوي بين موظفيها في العطاء والمكافآت، فإنها إما توزع على الجميع أو يحرم منها الجميع! هذا النوع من السلوك المؤسسي يحبط الموظفين أصحاب العطاء الأكبر وقد يجعلنا نخسر حماسهم في العمل، فهو يرى أمامه أن مؤسسته يتساوى فيها المجيد والمهمل. للأسف تظن هذه المؤسسات أنها تفعل خيراً بتطبيقها مبدأ المساواة ولكن المساواة لا تعني تحقيق العدالة وهنا يكمن الفرق.

مشاركة المعلومات

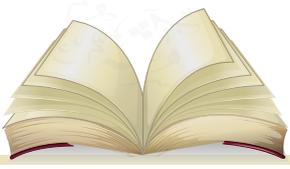
تمارس مؤسسات كثيرة إخفاء عثراتها وتحدياتها عن موظفيها وتكتفي بمناقشتها في نطاق الإدارة العليا. نجد أن هناك تبعات تؤثر سلباً على سلوكيات الموظف المهمل والذي لا يتم مشاركته بشفافية بأحوال المؤسسة وتحدياتها. إن الشفافية ومشاركة البيانات تنعكس على الموظف وكيفية تعامله لما حوله بينما حجب البيانات قد يجعله يتخذ قرارات تضر بالمؤسسة دون علم منه وذلك لعدم درايته بأحوال المؤسسة. مشاركة البيانات أيضاً تجعل الموظف أكثر تقديراً لعمله وأكثر إصراراً بجعله الأفضل لأنه يستشعر بأنه فرد ذو أهمية وليس مجرد مؤدٍ لعمل محدد لا يعي شيئاً عن مؤسسته.

التمكين

يتمثل تمكين الموظف في عدة أوجه أبرزها منحه الثقة والسلطة للقيام بما يظنه صائب بمشاركة الآخرين في صناعة القرار وجعله يناقش أفكاره حول المؤسسة بشفافية مع الإدارة. هذا النوع من السلوكيات يعزز انتماء الموظف للجهة ويستشعر أنها مؤسسته وليست مجرد مؤسسة يعمل بها من أجل الراتب.

الرفاهية والعافية

اهتمام المؤسسة بسلامة الموظف وصحته البدنية والذهنية تؤدي إلى حصولها على موظف ذي أداء مستقر. بينما نرى أن إهمال المؤسسات لسلامة الموظف النفسية والجسمانية تنعكس على نوعية



المباراة الطويلة: كيف خالف أوباما واشنطن وأعاد تعريف دور أميركا في العالم لديرِك شوليت

محمد السماك *

ليس مؤلف هذا الكتاب السياسي كاتباً أكاديمياً فقط؛ إنه إضافة إلى ذلك مسؤول منغمس في السياسة حتى أخمص أذنيه. كان ديرِك شوليت من كبار العاملين في وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، وفي وزارة الخارجية الأمريكية. كما كان عضواً في مجلس الأمن القومي الأميركي خلال فترتي رئاسة الرئيس السابق باراك أوباما. ولذلك فإنه من مواقفه في تلك المناصب - المفاتيح التي تقلب عليها، يبدو مؤهلاً أكثر من كثيرين غيره لإصدار الأحكام على سياسة الرئيس أوباما وعلى مواقفه التي تعرضت للكثير من الانتقاد.

سياسته الخارجية بما في ذلك سياسة استخدام القوة العسكرية كأحدى أدوات هذه السياسة، واتخذ منها قاعدة لبناء خياراته الاستراتيجية. وفي مقدمة هذه المبادئ - يقول المؤلف - التوازن بين المصالح والقيم، والتوازن بين الأولويات الأمريكية الداخلية والخارجية، وبين الأهداف الأمريكية المعلنة في مختلف أنحاء العالم وقدرة أميركا على الاحتمال، وقدرة حلفائها على المشاركة في تحمل الأعباء والمسؤوليات. ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الميزان الدقيق الذي وضعه أوباما لنفسه لقياس النتائج الإيجابية والأعباء السلبية التي تترتب على قراراته. ويقول إن هذا الميزان يشمل: القوة العسكرية القوة الدبلوماسية القوة الاقتصادية والتنموية ويقول المؤلف بعد ذلك إن هذا المقياس لم يكن معتمداً، بل لم يكن موجوداً في الأساس في عهد الرئيس جورج بوش - الابن، ولذلك ورث أوباما عنه وضعاً بالغ السوء تمثل في وجود ١٥٠ ألف جندي أميركي يقاتلون في الخارج «دفاعاً عن الكرامة الأمريكية (٩)».

مالية تنوء الآن تحت أعبائها، ومن دون جدوى!! بعد ذلك يطرح المؤلف السؤال الذي بنى كتابه في محاولة للإجابة عنه. والسؤال هو: من هو باراك أوباما، هل كان رئيساً ليبرالياً أم أنه كان رئيساً واقعياً لا يحسب للمشاعر أي حساب؟ في الإجابة عن السؤال يبين المؤلف أن أوباما لم يكن لا هذا ولا ذاك. ويقول إن الرئيس الأميركي السابق أسوء فهمه لأنه كان يلعب، أو كان يريد أن يلعب «المباراة الطويلة». ومن هنا جاء عنوان الكتاب. فما هي هذه المباراة الطويلة؟ يقول المؤلف ديرِك شوليت إن أوباما كان يقود سفينة السياسة الخارجية بعقلية التجار أو الباعة. كان يعرف - أو أنه كان يعتقد أنه يعرف جيداً - ما هي مصالح الولايات المتحدة على المدى البعيد، وكان يرفض الخضوع للضغوطات وللمطالب التي كانت تحثه على التدخل استجابة لحاجات آنية ومرحلية لأن النجاح فيها ما كان يساوي تكاليفها المادية والمعنوية. انطلقاً من هذه الحسابات وضع الرئيس أوباما، كما يقول المؤلف، لائحة من المبادئ العامة التي بنى عليها

ينطلق المؤلف في كتابه «المباراة الطويلة: كيف خالف (أو عصا) أوباما واشنطن وأعاد توصيف دور أميركا في العالم»، من مقولتين متناقضتين: تعترف الأولى بأن مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية ذهبت بعيداً في التقليل من أهمية الإنجازات التي حققها أوباما في إدارته المتعاقبتين. وتتهم الرئيس السابق بأنه ذهب بعيداً في استخلاص العبر من الاجتياح الأميركي للعراق. وأنه كان مبالغاً جداً في حذره من استخدام القوة للدفاع عن النظام العالمي ودعم أصدقاء الولايات المتحدة في العالم، الأمر الذي تسبب في خيبة أمل الحلفاء وشجع الخصوم والأعداء. أما المقولة الثانية فإنها تعرب عن دهولها من القرارات التي اتخذها الرئيس أوباما بدم بارد لاستخدام القاذفات من دون طيار (الدرون) لقتل من وصفهم - أو اعتبرهم - بأنهم أعداء الولايات المتحدة (خاصة في باكستان وأفغانستان واليمن). وتتهمه بأنه قصف عدداً من الدول أكثر مما فعله الرئيس الأسبق جورج بوش الابن. ويؤخذ عليه أيضاً وبشدة، التزامه بتحديث وتطوير البرنامج النووي الأميركي والذي حمل الخزينة أعباء



الانقلابيين على النظام. ويقول المؤلف إنه من خلال موقعه هو نفسه في إدارة أوباما كان يطالب وبشدة بضرورة تغيير سلوك الإدارة وعلى إعادة النظر في تعاملها مع القضية السورية، ولكن دون نتيجة. مع ذلك كله يعتبر المؤلف أن أهم نجاح لمبدأ أوباما يتمثل في التوصل إلى اتفاق مع إيران حول ملفها النووي. وأنه ما كان ممكناً تحقيق ذلك من دون اعتماد دبلوماسية النفس الطويل.

يتحدث الكتاب مطولاً عن هذا الملف من خلال المحادثات التي «تميزت بالصبر وطول الأناة» حتى أمكن التوصل إلى التسوية التاريخية.

ويكشف عن أمر أساسي، وهو أن الرئيس أوباما كان يتابع ويطلع بنفسه على كل صغيرة وكبيرة في المحادثات، وأنه كان يبدي رأيه ويحدد موقفه الذي كان وزير الخارجية الأمريكية (والوفد المفاوض) يلتزم به التزاماً مطلقاً.

ولكن بالرغم من كل الانتقادات التي تعرّض ويتعرّض لها عهد الرئيس الأميركي باراك أوباما، فإن من حسن حظه بالتأكيد أنه جاء بين رئيسين يثار الكثير من الغبار السياسي حول عهديهما داخل الولايات المتحدة وخارجها؛ وهما الرئيس جورج بوش الابن، والرئيس الحالي دونالد ترامب.

اسم الكتاب: المباراة الطويلة: كيف خالف أوباما واشنطن وأعاد تعريف دور أميركا في العالم

The Long Game : How Obama Defied Washington and Redefined America's Role in the World

اسم المؤلف: ديريك شوليت Derek Chollet

اسم الناشر: Public Affair

تاريخ النشر: ٢٠١٦

عدد الصفحات: ٢٤٧

اللغة: الإنجليزية

* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي



مدمرة. ففي أفغانستان أعلن أوباما أن القوات الأمريكية سوف تنسحب تماماً بعد ١٨ شهراً فقط، إلا أنه اضطر إلى زيادة عددها. وكرّر الخطأ مرة ثانية في عام ٢٠١٤ عندما حدد عام ٢٠١٦ موعداً أخيراً لانسحابها، وهي لا تزال هناك حتى اليوم!

ويقول المؤلف إن خطأ الرئيس أوباما كان بإعلان التزامه بالانسحاب من جانب واحد من دون أن تتوفر على الأرض معطيات تغطي هذا الانسحاب وتدعمه أو على الأقل تبرره. ويقول إن ما حدث كان على العكس، إذ استغل طالبان الأمر لتصدّد من هجماتها على المواقع العسكرية الأمريكية وعلى مؤسسات الدولة الأفغانية معاً.

ويصف المؤلف قرار الرئيس أوباما بالانسحاب من العراق في نهاية عام ٢٠٠١ بأنه كان كارثياً ومأساوياً. ويقول لو أن الرئيس أبقى جزءاً من هذه القوات لكان بإمكانه التعرف على المتغيرات السياسية التي رافقت الانسحاب ولعمل على صدّها، وربما ما كان لداعش أن تقيم دولتها في شمال العراق!.

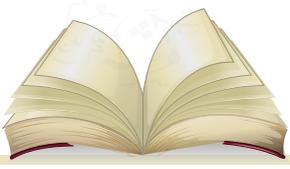
وعن سوريا، يتحدث المؤلف عن مجموعة من الأخطاء التي ارتكبتها إدارة أوباما سواء بعجزها عن معاقبة النظام حتى بعد تجاوزه الخط الأحمر باستخدام السلاح الكيماوي، أو بفشله بمساعدة

ينقل المؤلف عن أوباما قوله: «لا تسأل ماذا تستطيع أميركا أن تفعل. اسأل عما يفترض بها أن تفعل». ولأن الولايات المتحدة هي أقوى دولة في العالم، فإن معنى ذلك أن عليها مسؤوليات استثنائية، مما يؤهلها لدور قيادي عالمي. ولكن ذلك لا يعني أن لها السلطة على فرض إرادتها سواء من حيث المضمون أو التوقيت. ولذلك كان أوباما يدعو إلى استخدام عامل الوقت - بما يعني ذلك من الصبر - لمنح محاولات التسوية فرصاً للنجاح، مع حساب دقيق لإمكانات النجاح أو الفشل، والاستعداد لمواجهة النتائج المترتبة على كل من الحالتين.

غير أن هذه الحسابات أدت عملياً إلى وجود أكثر من مبرر لاتهام إدارة الرئيس أوباما بأنها أنتجت القليل، وأن ما أنتجته جاء متأخراً أيضاً. فالبراغماتية الحذرة، والواقعية الباردة اللتان تميّز بهما عهدا أوباما، يتماهيان مع ما تميّز به أيضاً عهد كل من جورج بوش الأب، وقبله عهد الجنرال إيزنهاور، وكلاهما - على عكس أوباما - من الحزب الجمهوري، غير أن عهدي بوش الأب وإيزنهاور تميّزا بالإنتاج السياسي البناء على مستوى الداخل الأميركي والعالم. بعكس ما حدث مع الرئيس أوباما رغم أنه تربّع على عرش البيت الأبيض ثماني سنوات متواصلة. إلا أن المؤلف يؤكد أن هذه الصورة السلبية سوف تتغير مع الوقت. لتتكامل مع الصورة المرسومة عن بوش الأب والجنرال إيزنهاور.

ولتبرير هذا الحكم الإيجابي، يسجل المؤلف للرئيس أوباما نجاحه في إعادة التوازن إلى العلاقات الأمريكية - الصينية، وإلى النجاح في السيطرة على العلاقات مع روسيا رغم إقدام الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على انتزاع شبه جزيرة القرم من أوكرانيا وضّمها إلى بلاده.

غير أن المؤلف يعترف، وهنا بيت القصيد بالنسبة لنا؛ أن مبدأ أوباما مني بكارثة في كل من أفغانستان والعراق وخاصة في سوريا. ويقول إنه كان لسياسته تداعيات



ديناميات تسوس النظام الصيني لمينكسين بي

محمد السالمي *

دائمًا ما يُثير دهشة علماء التطور الاقتصادي هو النهوض الآسيوي في فترة وجيزة، وأبرز هذه الدول هي الصين. فتموها المضطرب ساهم في تجاوز اليابان لتكون بعد الولايات المتحدة من حيث الناتج المحلي الإجمالي. انفتاح الصين على العالم جعلها قوة لها اعتبارها. ولكن هل الحزب الشيوعي الصيني قادر على استدامة النمو والإصلاح على المدى البعيد؟ يأتي مينكسين بي في كتابه China's Crony Capitalism؛ ليعطي صورة مخالفة عن مستقبل الصين على المدى البعيد.

الحزب من إحساسه بمهامه. كما بلغت التكاليف الاقتصادية والأخلاقية للحفاظ على حكم الحزب الواحد من خلال القمع مستويات غير مستدامة. يبدأ الكتاب من خلال ملاحظة أن انتشار الفساد حدث مع تحرير الاقتصاد. وكانت النتيجة الطبيعية القدرة على شراء وبيع وسائل إنتاج الدولة، والاستفادة من ذلك من خلال الفساد. يغطي الكتاب طائفة واسعة من الطرق التي يتم بها الفساد ولكنه يركز على قضية منطقة ميغوان باعتبارها الجذر الأساسي للفساد. تتمحور قضية ميغوان حول شراء وبيع التعيينات الحكومية وكيف وسعت هذه القضية شبكة الفساد. وركزت معظم أمثلة الكتاب على الفساد الرأسي، وهو التسلسل الهرمي للجهات الفاعلة المشاركة في الفساد بدلاً من تواطؤ الرتب المتساوية. ومن ثم فإن التواطؤ الرأسي هو امتداد سهل عند تشكيل سندات الثقة عند التعيينات. إن التواطؤ بين النخب السياسية ورجال الأعمال من القطاع الخاص في نظام الحزب الواحد واضح. فالسلطة السياسية التي يسيطر عليها المسؤولون في دولة الحزب الواحد يمكن تحويلها إلى ثروة هائلة بسرعة. ومع ذلك، من الصعب تنفيذ هذا التحويل دون شركاء في القطاع الخاص. هذا المنطق المقنع جعل الزواج بين السلطة والمال السمة المميزة للرأسمالية في الصين. ومن الناحية العملية، يتجلى هذا الاتحاد في التواطؤ بين المسؤولين الحكوميين الذين يسيطرون على تخصيص الأصول المملوكة للدولة والموارد الاقتصادية ورجال الأعمال الذين يحاولون الاستيلاء على هذه الأصول.

مشروعة للسلطة داخل الدولة الحزبية حيث كانت الرشاوى والتعيينات الرسمية تتم بشكل خفي، ويتم تداولها بشكل روتيني. وقد خلق هذا النظام الرأسمالي المحسوبي إرثاً من الإجرام والامتياز الراسخ الذي سيجعل أي تحرك نحو الديمقراطية صعباً وغير منظم.

يشرح الكاتب التغيير الذي حدث في الدول الآسيوية من خلال التغيير الاجتماعي الذي طغى على الناحية الفكرية والاقتصادية، وكيف أثر هذا التغيير على أنظمة الحكم. فخلال السنوات الأربعين الماضية، برز على الساحة تغير في البلدان الشيوعية والمتوسطة الدخل والآسيوية من الانتقال من الديكتاتورية إلى شكل من أشكال الديمقراطية. ولو أخذ هذا المثال قياساً إلى ما وصلت إليه التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الصين، وارتضاع نسبة الطبقة المتوسطة، حتى ولو بوتيرة أبطأ بكثير، فإنها ستنشئ بحلول الأعوام القليلة القادمة مجتمعاً يكون فيه الحفاظ على النظام استبدادياً أكثر صعوبة، إن لم يكن مستحيلًا. تاريخياً، لم تنجح أية من الأنظمة الاستبدادية لأكثر من ٧٤ عامًا، بسبب انحلال أيديولوجيتها وفساد النخب الحاكمة. ومن هنا سيكون الحزب الشيوعي في الصين في السلطة لمدة ٨١ عامًا بحلول عام ٢٠٣٠.

ومن أهم مظاهر ضعف الحزب أو انحلاله يبرز انتشار الفساد في النخب الحاكمة، وتفكك وحدة النخبة، كما يتضح من تطهير بو زيلاي، لينغ جيهوا، ومسلبيهم منذ عام ٢٠١٢، وضمور أيديولوجية

فمينكسين بي هو خبير في الشؤون الصينية والآسيوية، ويشغل حاليًا منصب مدير مركز كيك للدراسات الدولية والاستراتيجية في كلية كليرمونت ماكيننا، وقد صنف في عام ٢٠٠٨ كأحد أفضل ١٠٠ مفكر عام من قبل مجلة بروسبيكت. يرى الكاتب أنه عندما أطلق دنغ شياو بينغ الصين نحو طريق الإصلاح الاقتصادي في أواخر السبعينات، تعهد ببناء اشتراكية ذات خصائص صينية. وبعد أكثر من ثلاثة عقود، أدت الجهود التي بذلتها الصين للتحديث إلى شيء مختلف تماماً عن جنة الشعب العاملة التي تصورها دنغ، وذلك من خلال: الفساد المستشري، وتزايد التفاوت في الدخل، والتوترات الاجتماعية المتزايدة. وتتبع الرأسمالية الصينية الحالية سلسلة من الإصلاحات غير المكتملة من حقبة ما بعد تيانانمن التي لا مركزية لها إلا السيطرة على الملكية العامة دون توضيح ملكيتها.

وبدءًا من التسعينيات، سمحت التغييرات في حقوق التملك والسيطرة على الأصول المملوكة للدولة مما أمكن المسؤولين الحكوميين ورجال الأعمال المتصلين بشكل جيد بتحصيل ثروات ضخمة من خلال النهب المنهجي للممتلكات المملوكة للدولة، ولا سيما الأراضي والموارد الطبيعية والأصول، وبتشغيل المشاريع. وأظهر مينكسين بي أدلة مستمدة من أكثر من مائتي قضية فساد تتعلق بمسؤولين حكوميين ومسؤولين عن إنفاذ القانون ورجال أعمال من القطاع الخاص وأعضاء في مجال الجريمة المنظمة تبين كيف أن التواطؤ بين النخب قد أحدث سواقاً غير



في الصين» يعطي نافذة على الوسائل التي يحدث فيها الفساد في الصين، إلا أنها دراسة مثيرة للاهتمام. حيث تم جمع البيانات من المصدر الرئيس لها، وخصوصاً بعد أن ذهبت الصين في طفرة البنية التحتية الضخمة. وعلى الرغم من أن البيانات الرسمية الإجمالية عن الفساد لا توفر الكثير من المعلومات عن التواطؤ بين المسؤولين ورجال الأعمال من القطاع الخاص، فمن المعقول افتراض أن هذه الأنشطة تشكل نسبة كبيرة جداً من جميع حالات الفساد التي تم الكشف عنها وكما تشير البيانات ولكن مبالغ معظم الرشاوي صغيرة جداً لدرجة أنها غير مقنعة مع شناعة العمل. وبلغت حالات الرشوة التجارية في استغلال الموارد الطبيعية، والتجارة في حقوق الملكية، والمشتريات الحكومية وحدها ١٠٤٢ حالة. و٥٧٪ من الحالات تم تصنيفها «بحالات اختلاس أو رشوة كبرى». كما شكك كثير من الناس وبالأخص من الصينيين في مصداقية الكتاب، حيث يرى البعض أن النظام أكبر من أن يسقط. كما يرى القراء أن هناك اختلافات جذرية بين الثقافات في التعامل مع المؤسسة الحاكمة، وأن أمثلة الاختلاسات قد توجد في عديد من الدول لا تقارن بحجم الصين وأن الحزب لديه القدرة على إدارة الأزمة بكفاءة.

هذا الكتاب أثار قدراً كبيراً من الاهتمام والنقد. وقد فسر البعض أن الكتاب لا يعطي أية مصداقية. وقد علق الكاتب أنه على دراية بردة الفعل، ولكنه يشدد بهذا الشأن أنه يجب تجنب ارتكاب نفس الخطأ الذي يفتقده بسقوط الولايات المتحدة أو الربيع العربي. وباعتبارها ممارسة فكرية خطيرة ذات آثار سياسية مُحتملة وعميقة، فإن النقاش المنهجي القائم على الأدلة بشأن مستقبل الصين يتسم بالصحة والوقت الذي طال انتظاره.

اسم الكتاب: China's Crony Capitalism: The Dynamics of Regime Decay

المؤلف: مينكسين بي

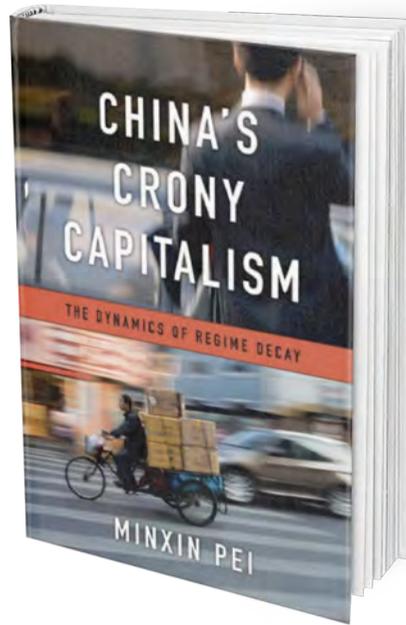
الناشر: Harvard University Press

سنة النشر: ٢٠١٦

عدد الصفحات: ٣٧٦ صفحة

اللغة: الإنجليزية

* كاتب عماني



وهذا لا يعني أن إضفاء الطابع الديمقراطي وحده سيؤدي إلى ارتفاع الدخل، ولكنه شرط ضروري للتخلص من الديكتاتورية، وإن لم يكن كافياً، للوصول إلى دخل مرتفع.

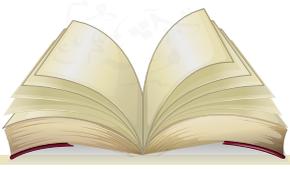
أما حول السيناريو الأكثر احتمالاً هل الإصلاح أم الثورة، أم مزيج من الإثنين؟ يبين مينكسين أنه إذا كان الخيار هو الإصلاح، فإنه يجب إضافة الطابع الديمقراطي عليه، ويرى أنه السيناريو المفضل، ولكن النافذة تغلق بسرعة. فتاريخياً لم يتم إصلاح نظام شيوعي واحد إلى الديمقراطية بنجاح. أما الثورة، وقد تكون انتفاضة شعبية على طراز مظاهرات ساحة «تيانانمن»، من غير المرجح أن تستمر لأن قوات الأمن الصينية يمكن أن تسحق ذلك بسهولة. الثورة هي عملية تبدأ بالإصلاح المحدود ولكنها تصبح متطرفة، وهي السيناريو الأكثر احتمالاً. يرى الكاتب أنه يمكننا أن نتصور مثل هذا السيناريو في منتصف ٢٠٢٠ عندما يصبح الحزب، بعد عقد من الانحلال السياسي والركود الاقتصادي، يائساً بما فيه الكفاية للمقاومة في الإصلاح السياسي لإنقاذ نفسه. لكن نافذة الإصلاح ستغلق بحلول ذلك الوقت، وكما هو الحال في الاتحاد السوفييتي المتأخر، فإن الإصلاح المحدود يكسر النخب الحاكمة ويعبئ القوى الاجتماعية التي تسعى إلى إحداث تغيير جذري ويطلق العنان للثورة. ورفضت البلاتينيوات التقليدية حول قدرة الحزب الشيوعي الصيني على الصمود، بجمع أدلة لا لبس فيها تحت واجهة الصين من الازدهار والازدهار المتواصلين، وهي دولة لينينية في مرحلة متقدمة من الاضمحلال.

على الرغم من أن كتاب «رأسمالية المحاسب

يُبين الكاتب أنه كان متفائلاً من الإصلاح الاقتصادي الذي أطلقه دنغ شياو بينغ يمكن أن يخفف من قبضة الحزب ويؤدي في النهاية إلى تغيير سياسي. لكن الأحداث اللاحقة أثبتت أن هذا الافتراض مُبسط للغاية. حيث لم يكن من المتوقع أن النجاح الاقتصادي يُمكن أن يُعزز سيطرة الحزب لفترة طويلة من الوقت وعرقلة التغيير السياسي. ومع ذلك، وبسبب الطبيعة المفترسة لقاعدة الحزب الواحد، فإن هذا النجاح الاقتصادي لا يُمكن أن يدوم. أما بالنسبة للمحللين الآخرين الذين يعتقدون أن الحزب أكثر دواما من ذي قبل، فإن العوامل التي تم الاستشهاد بها لم تعد هناك. فالنمو أخذ في التباطؤ، والحزب في حالة من الفوضى، لأن القواعد التي وضعها للحد من الحرب السياسية الداخلية قد انهارت. وتقود السياسة الخارجية لبكين العلاقات الصينية الأمريكية تجاه الصراع. وقد بدأ الرضا من الطبقة الوسطى يتآكل بسبب التدهور البيئي، وسوء الخدمات، وعدم المساواة والفساد.

أما مقولة إن الأداء الماضي لا يضمن النتائج المستقبلية، فهذا الواقع ينطبق أيضاً على الحزب نفسه. وهذا يعني أن نجاحه في الماضي لا يضمن بقاءه في المستقبل. وعند التفكير في مستقبل الحزب، تقدم أمثلة الدول الأخرى رؤى مُفيدة حول كيفية تفاعل النخب الحاكمة مع البيئات المتغيرة. قد تكون الصين ضخمة، ولكنها محكومة بالبشر الذين يتخذون مثل نظرائهم في الدول الأصغر، خيارات تختارها قيود عملية يمكن التنبؤ بها. وفي السياسات المقارنة، قد لا يؤدي استخدام أمثلة لدول أخرى إلى تحقيق أفضل النتائج، ولكنه لا يزال نهجاً أفضل من دراسة شجرة كما لو لم توجد غابات.

إن السجل التاريخي ليس مشجعاً بالنسبة للحزب الشيوعي في تجنب «فخ الدخل المتوسط». وبصرف النظر عن التحديات الاقتصادية البحتة، يقدم التاريخ نوعين من الأفكار: الأول هو أن الدكتاتوريات من المرجح جداً أن تنخفض عند مستوى الدخل المتوسط. وهذا هو السبب في أننا لا نرى النظم الاستبدادية ذات الدخل المرتفع خارج الدول المنتجة للنفط. والآخر هو أن الدكتاتوريات تسرق الكثير من مجتمعاتها ولا يمكنها أن تحافظ على النمو الاقتصادي. والبلدان التي لا تستطيع أن تهز الديكتاتوريات محاصرة في الدخل المتوسط.



مأساة الكنيسة الروسية (1917-1953)

قصة انهيار المسيحية في ظل السلطة السوفيتية ليف ريغلسون

أحمد م الرحبي *

عشية الذكرى المئوية للثورة الاشتراكية الروسية (البلشفية) التي شهدت البلاد معها منعطفًا تاريخيًا حادًا والتي أحدثت تغييرات جذرية في أسلوب حياة الشعب الروسي، أسلوب الحياة الذي حضره في الزمن على مدى قرون طويلة متعاقبة، عشية تلك الذكرى صدر عدد كبير من الأعمال التي صوبت نظرة فاحصة جديدة إلى ذلك الفصل التاريخي وما رافقه من أحداث وذلك من جوانبه التاريخية والسياسية والاقتصادية. وبقي الجانب الديني مهملاً إلى حد ملحوظ ولم ينل حظه من التغطية والتمحيص البحثي، كما تندر الأعمال التي ناقشت حقيقة أن في عام ١٩١٧ كانت روسيا على مفترق طريق مع عقيدتها المسيحية، مرة وإلى الأبد.

الجوهري يكمن في علاقة الكنيسة بالبطيريك تيخون، فطالما أنها تكن له الاحترام والتبجيل، فإن نصراً مؤزراً لن يكتب للثورة البلشفية. لم تشكل كنيسة تيخون قوة سياسية نشطة وفعالة ولكن وجودها نفسه وروحها كانا يناهضان روح الثورة من أساسها. وكان من الممكن أن تتسامح السلطة الجديدة مع مثل هذه الحالة بشكل مؤقت، وبحسب الظروف التي تضطرها إلى ذلك، ولكن تظل المهمة الأساسية أمامها تقويض الأسس الأخلاقية للكنيسة وإفسادها من الداخل» (ص ١٧٢-١٧٣).

ونتيجة لقراءته الوضع الجديد وشعوره بالمصير الداهم، أصدر البطيريك عام ١٩٢٠ مرسوماً يسمح فيه بالقضاء على التحكم الأبوي للكنيسة وعودتها للعمل بموجب الأعراف التي عملت بها في ظروف مشابهة إبان عصر الاضطهاد من القرون الأولى من المسيحية، أي الاعتماد على الإدارة الذاتية للأساقفة وذلك حسبما تمليه الوقائع على الأرض. بيد أن المرسوم لم ينفذ مما أدى إلى تغيير جذري في هيكل الكنيسة ومبادئها. وبعد تحليل مستفيض يعلل ريغلسون الأسباب التي عجلت بالانهيار، يعلله بالارتباك الذي أصاب الأساقفة أنفسهم وكيفية إدارتهم للأزمة. يعلق المؤلف في كتابه على هذا الحدث: «إلى جانب القوة الروحية، كان مطلوباً من الأسقف في تلك الحقبة الزمنية التمتع بالحكمة وروح المبادرة والاستقلالية. وقد دفعت الكنيسة الروسية ثمنها باهظاً بسبب حقيقة أن كل هذه الصفات لم تكن مزروعة في رجال الدين» (ص ١٥٧). ويجد ريغلسون نقطة التحول

يبدأ ريغلسون تقريره من نقطة قبول البطيريك تيخون، الذي اشتعلت الثورة البلشفية والكنيسة تحت إمرته. ويرى المؤلف كخلاصة لتقييمه لمواقف هذه الشخصية المحورية في ذلك الظرف الحاسم، أن موقف البطيريك ظل خلواً من السياسة: ليس معها ولا عليها. ومن المعروف أن البطيريك تيخون دعا إلى التواضع أمام واقع الحكومة الجديدة التي: «لا يُمكنها أن توجد من دون إرادة الله الذي أرسلها لنا كجزاء على أعمالنا وعلينا أن نتقبل عقاب الرب متواضعين له. فالؤمن يحمل الصليب الثقيل على كاهله، وإضعاً قلبه في الكنيسة، ولكن عليه أيضاً أن يطيع قوانين ومتطلبات العالم القائم طالما أنها لا تطلب منه التخلي عن المسيح والكنيسة» (ص ١٦٠). وعن الموقف العام للكنيسة يخلص ريغلسون أنه: «لم يكن أمامها سوى طريق واحد: التأكيد على أن الإنسان مخلوق بصورة الرب ويمتلك حرية الاختيار. وبالنسبة للظروف التي شهدتها البلاد آنذاك، فالتضحية بالنفس هي الخيار الأوحيد وذلك عن طريق الإيمان العميق والنفي الأخلاقي للشر» (ص ٧٤).

يقدر الباحث شخصية البطيريك تيخون حق تقديرها ويمحضها أهمية تاريخية إلى درجة يزيح فيها اسم الامبراطور القتل نيقولا الثاني عن كفة الميزان المعادلة لكفة لينين، ويضع مكانه اسم تيخون باعتباره الند الحقيقي للينين والعقبة الكأداء التي وقفت أمام طموحه الثوري. يقول في ذلك: «ليس الأمر في أي من الاسمين كان يتمتع بالتأييد الأكبر بين الجماهير، بل الأمر

كيف قيض للسلطة السوفيتية الجديدة تدمير الكنيسة الأرثوذكسية الروسية العريقة وتقويضها من الداخل؟ ما هو الموقف الذي اتخذته الكنيسة تجاه الثورة؟ ما هي المبادئ الدينية التي انتهكها رجال الكنيسة أنفسهم؟ كيف تطورت العلاقات بين الدين والدولة السوفيتية؟ هل كان التوجه لإحياء المؤسسة الكنيسة على يد الزعيم الشمولي ستالين مسألة جادة وصادقة؟ عن هذه الأسئلة وغيرها يحاول الإجابة المنشق السوفيتي السابق والناشط في مجال حقوق الإنسان والدين، الباحث الروسي ليف ريغلسون. ولم يكتف ريغلسون في بحثه التاريخي الكبير هذا بجمع أقصى قدر من المواد المتعلقة بالأحداث وبالأشخاص المسؤولين عن حياة الكنيسة في الفترة الانتقالية بين الثورة والحرب العالمية الثانية وما أعقبها وحسب، بل وسجل في الوقت نفسه ما يشبه النشيد الموجه للأنقياء والمخلصين في الكنيسة الروسية.

لا يُولي المؤلف في كتابه «مأساة الكنيسة الروسية» اهتماماً كبيراً بالحقائق التاريخية المعروفة والمتعلقة بالنهب والتدمير المادي الذي طال الكنيسة عند اشتعال الثورة وبعدها، وإنما يقدم بدل ذلك تقييماً للمواقف الشخصية التاريخية وذلك ضمن إطار أرثوذكسي خالص. فغير الوثائق والمراسلات الخاصة لقادة الكنيسة، يتتبع ريغلسون قصة انهيار المؤسسة الكنيسة الروسية باعتبارها الهيكل الروحي والاعتباري للأمة طيلة قرون مديدة، كما أنه يرصد تفاصيل الردة الأخلاقية التي وقعت في ظل ظروف تاريخية خاصة وجديدة تمر بها البلاد.



الأرثوذكسية والغربية الكاثوليكية في موقفهما من السلطة، وهي مقارنة واجبة لتبريز البحث ومنحه أبعاده التاريخية والاجتماعية الكبرى، يسجل الكاتب الملاحظة التالية: «لقد صيغت العلاقات بين الكنيسة والدولة في الأرثوذكسية بشكل يختلف عن الكاثوليكية الغربية أي الكنيسة الرومانية. فالأخيرة وجدت نفسها مع مجموعة متنوعة من الشعوب الوثنية وذلك في غياب الدولة الواحدة. وأجبرها هذا على أداء وظائف توحيدية إمبريالية. وبدون تعريف نفسها ضمن أمة أو دولة أصبحت الكنيسة الرومانية ضرباً من النظم الإمبراطورية: منظمة فوق وطنية وفوق دولية، تملك لغتها الخاصة (اللاتينية) وتتمتع بإدارة مستقلة، إدارة دنيوية تشارك بنشاط في الحياة السياسية والشؤون الدولية. أما الشعوب السلافية والقوقازية فكانت معظم كنائسها مرتبطة بالوطن، وطالما كرسن نفسها لفكرة الوحدة الوطنية وإنشاء الدولة المستقلة، وكانت تخاطب العامة بلغتهم الأم وتقدم المساعدة في أداء الخدمات الوطنية، لهذا أصبحت فخراً وطنياً وأرضية يتشكل عليها الوعي القومي» (ص ٢٩١-٢٩٢).

ترتبط نهاية مأساة الكنيسة الروسية وتوقف اضطهادها في الذاكرة الشعبية الروسية ارتباطاً وثيقاً بشخصية ستالين. وقد كرس ريغلسون ثلاثة فصول من دراسته لهذه المسألة وهي:

- ١) عبادة ستالين في مواجهة عبادة يسوع المسيح.
 - ٢) نموذج المسيح الدجال.
 - ٣) الكنيسة ومشاركتها في عبادة ستالين.
- ولا يتسرع الكاتب بجعل ستالين في مقام المتبرع لإنقاذ الكنيسة ومنح شخصيته الصفات الموجبة للمنقذ فنراه يتساءل: «ألا يشبه الدعم الذي قدمه ستالين للكنيسة تلك الوعود التي قدمها المسيح الدجال للروس والبيزنطيين والسلافيين بالعطايا والهدايا لمن يقوم بتمجيده وعبادته؟» (ص ٣٠٨).

ختاماً يبني ليف ريغلسون دراسته هذه باعتبارها مدخلاً إلى عمل طويل ينبش في مكونات الكنيسة الروسية ويتتبع مراحل تطورها وانكساراتها، لاسيما وأن الكثير من الوثائق ما زالت طي الكتمان ويتطلب الكشف عنها الكثير من الجهد والبحث الدائب.

الكتاب: مأساة الكنيسة الروسية (١٩١٧ - ١٩٥٣).
المؤلف: ليف ريغلسون.
الناشر: تسينتر بوليفراف، موسكو ٢٠١٧.
اللغة: الروسية.
عدد الصفحات: ٤١٥ صفحة.

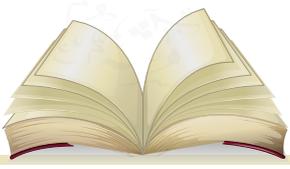
* كاتب عُمانى



فيها وإشاعة المنافسة المؤقتة داخل إدارتها ريثما يتم اختيار الشخصية الدينية التي من شأنها تنفيذ البرنامج التدميري بشكل سهل ومريح» (ص ٢٠١-٢٠٢). ولا تقتصر خطورة ذلك البرنامج في تقويض الكنيسة وتجييرها من أجل شل المقاومة السياسية عند الجمهور، ولكن أيضاً، وهو العامل الأبعد أثراً والأشد تدميراً، إعادة تثقيف الجماهير وشحنهم بالولاء للشيوعية والامتلاء بروحها، كل ذلك بشكل خفي وغير محسوس. وفي هذا السياق أبدى المؤلف اهتماماً كبيراً بمسألة العلاقة بين الفلسفة المسيحية والإيديولوجية الشيوعية والدور الحاسم للفترة السوفيتية في تغيير التاريخ الروسي ومناخه العام. يقول ريغلسون: «بداية لم يكن قادة الكنيسة في ذلك الوقت يتصورون أن الشعب المؤمن والمتشبه بدينه يمكنه القبول بحكومة لا تستمد سلطتها من المسيحية والكنيسة. ولكن، وخلال الحرب الأهلية، مال الناس في نهاية المطاف لصالح البلاشفة، فأصبح من المستحيل بعدها الادعاء بأن البلاشفة قوة خارجية محتلة (...) أصبح غالبية الناس على استعداد للتضحية بأرواحهم من أجل السلطة البلشفية القادرة على الاستجابة لتطلعاتهم (...) عدى ذلك فالقول أن ثمة جذور مسيحية للشيوعية قول محق تماماً ولكن مع إضافة أن الشيوعية مجرد هرطقة مسيحية ليس أكثر. أما الهدف المعلن والمشارك بين المسيحية والشيوعية فهو بناء ملكوت الله على الأرض، إذ ثمة العديد من صفات مملكة الله الأرضية هذه موجودة عند الشيوعيين ولكن فقط من غير وجود إله. وفي هذا الصدد تقدم الشيوعية للبشرية طوق نجاة ولكن عبر طرق أخرى غير طرق المسيحية» (ص ٦٩-٧٠).

وفي مقارنته بين الكنيستين الشرقية

الكبرى (وهذا هو الموضوع الرئيسي لبحثه) يجدها في الخطأ الذي اقترفه سيرجي رئيس الإدارة البطريركية آنذاك حيث أعطى توجيهاته بعدم اتباع الرسوم ووجه كل التدابير لإنقاذ المركز الذي يتنازل إليه الأساقفة. ويعتقد الباحث أنه في الظروف التي أحاطت بالاتحاد السوفيتي كانت إمكانية الكنيسة للحفاظ على مركزيتها تأتي فقط من خلال موازنة أنشطتها مع السلطات، أي بفرض سيطرة الدولة على أنشطة المركز الديني، وهذا ما حدث. ونتيجة لذلك انتهك سيرجي مبدأ الانطواء السياسي للكنيسة، وجعلها تنضوي تحت مظلة السلطة. كما غير الفهم الهيكل للكنيسة الذي يعتمد على الانتخاب ومباركة الرب وحوّله إلى منصة بيروقراطية صرفة. وتأسلت الفكرة التعسفية المتمثلة في انتقال منصب البطريرك عن طريق أمر يصدره رئيس الكنيسة السابق من دون حاجة للإجماع على صفات الرئيس الجديد وصفاته. يقول الكاتب: «ظهر في الكنيسة الروسية خطر تحولها من كيان حي إلى آلة ميكانيكية، ومن نظام الكاتدرائية إلى مجلس بيد مجهولي الهوية، ومن انسجام في الهرمية والشخصية إلى الاستبداد البيروقراطي من قبل رئيس الكنيسة» (ص ٢٠٥). وقد أدى منطق العنف الذي انتهجه المطران سيرجي إلى تبديل شامل للأساقفة المناهضين للتغيير فبرزت نسخة كنسية روسية جديدة انعكس أداؤها المتطرف حتى على نفسية الناس العاديين الذين يبدو معارضة ليس في الأمور العقديّة وإنما في المسائل السياسية: لم يحرم سيرجي رعايا الكنيسة من حرية الحياة، ولكنه، من وجهة نظر المؤمنين، فعل أكثر من ذلك بكثير، فقد كان يحرمهم من مصدر الحياة الأبدية وذلك بمنع خدمة جنازاتهم حسب الطقوس المسيحية أو بإلغاء إجراءات زفافهم المسيحية. كل هذا شجع السلطات على نهب ممتلكات الكنيسة ومنع الكنائس المنزلية وإغلاق المدارس الدينية والتوقف عن تدريس مادة الدستور الإلهي في المدارس بل وصل الأمر إلى تدنيس أضرحة القديسين والعبث برفاتهم. ويُعد السوفيتي الشهير ليف تروتسكي أكبر منظر لتدمير الكنيسة الروسية، فقد دفعه ولاؤه المضطرب للمسألة الإيديولوجية الثورية إلى وضع استراتيجية لتفكيك الكنيسة والقضاء التدريجي على مكوناتها. يقول المؤلف: «لم ترغب السلطة في التعامل مع عدد كبير من الانشقاقات في الكنيسة، وبالمقابل ظل التحول الجماعي من الأبرشيات إلى الحكم الذاتي يمثل المعضلة الكبرى أمام السلطة. وكان جوهر الخطة يتمثل في تخويف الكنيسة من الانشقاقات بغية الحفاظ عليها ظاهرياً، فيما الحقيقة المؤكدة تكمن في الحفاظ على السيطرة المركزية في الكنيسة، يأتي بعدها خلق الفوضى



أرمجدون السوري ألكسندر بروخانوف، ليونيد إيفاشوف فلاديسلاف شوريجين

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

الكتاب الذي بين أيدينا هو ثمرة الاجتماع الدوري لمنتدى «إزبورسك» (نسبة لمدينة إزبورسك في شمال روسيا) والذي عقدت جلسته الأولى عام ٢٠١٢، وخلال خمس سنوات من عمره، اكتسب المنتدى صيتاً روسياً عالياً ونفوذاً سياسياً واجتماعياً واسع النطاق. يتشكل المنتدى من خبراء روس بارزين يؤيد غالبيتهم الاتجاه المحافظ في السياسة والاقتصاد. وترتكز وظيفة المنتدى على دراسة السياسة الخارجية الروسية، وتقديم المشورة بخصوصها للجهات المختصة، كما ويهتم أعضاؤه بكتابة التقارير التحليلية عن أداء الحكومة ووضع تقديراتهم لمختلف مجالات الحياة المجتمعية مع التركيز على الموضوعات الملحة ذات الأهمية الوطنية؛ والمرتبطة بالمصلحة العامة للبلاد.

الذي صدر له مع هذا الكتاب المشترك رواية بعنوان «المستشرق» جاءت كثمرة لجولة كبيرة قام بها في بلدان الشرق الأوسط وتعد الأولى من نوعها في الأدب الروسي) يورد كيفية تعاطيه الميداني مع قضية تدخل بلاده في الصراع السوري ويقول: «لقد تحدثنا مع المثقفين والصحفيين والسياسيين في محاولة لشرح الأسباب التي لجأت فيها روسيا لهذه الخطوة العسكرية محفوفة المخاطر وقلنا لهم إن محاربة تنظيم داعش في سوريا إنما هو دفاع عن حدودنا في منطقة القوقاز التي هي نقطة ضعفنا في آسيا الوسطى، حيث بدأت بالفعل طلائع اقتراب المتاعب والخطر. قلنا إن طائراتنا في سوريا لا تقاتل من أجل إنقاذ سوريا وإنما للوقوف ضد اتساع هذا الثقب الأسود الرهيب. ما نقوم به هو عملية رتق لهذا الثقب وذلك مع الحفاظ على خريطة الدولة السورية الموحدة. قلنا إن منع انتشار هذا الثقب الأسود إنما هو إنقاذ لأوروبا نفسها لأنه، ومن هذا الثقب، سوف يتدفق فيضان من ملايين اللاجئين الجدد ممزقي الملابس والغارقين في الدموع والبكاء والضغينة ليغرق معهم العالم الأوروبي». (ص ٨)

ومع الإشارة إلى ما سماه المؤلفون الثلاثة بالنفاق في سياسة الولايات المتحدة فإنهم لا يجدون غضاضة في وصف سياسة بلادهم روسيا بالمتناقضة، لا سيما فيما يتعلق بالمسألة الكردية التي يواجهها الكرملين بالصمت. ويعلق المشاركون في المنتدى على هذه المسألة بقولهم: «في خضم حديثنا عن تنظيم داعش في كل واردة وشاردة، نجد أن الأكراد

والتطور وذلك وفقا للسيناريو الأمريكي الذي يعتمد على ما يسمى بالفوضى المسيطر عليها، وهي الفوضى المتمثلة في الصراعات الهجينة متعددة البؤر على طول الحدود بين روسيا والصين. وكما يشير مؤلفو الكتاب فإن المستفيد الرئيسي وربما الوحيد من هذه الصراعات هي الولايات المتحدة: «ليس ما يزعم واشنطن من التدخل الروسي في سوريا إمكانية تقاوم الوضع هناك، فالوضع فيها كان خطيرا قبل التدخل، والقصف المدمر من قبل طائرات التحالف كان موجودا، وتدفق اللاجئين من سوريا إلى أوروبا الذي تسبب في أزمة حادة للبلدان الأوروبية كان قد بدأ قبل التدخل الروسي، إذا لا يمكن أن يكون الوضع في سوريا أسوأ في حال تدخلت روسيا لمحاربة تنظيم داعش وعزله، وهذا ما حدث. ولكن ما يزعم واشنطن هو العكس تماما، فصقور الحرب الأمريكية يخشون من إمكانية نجاح روسيا في إنهاء سيطرة التنظيم الإرهابي» (ص ١٣٢ - ١٣٣). ويؤكد الباحثون أن مقدرة الولايات المتحدة على هزيمة تنظيم داعش كبيرة إن هي رغبت في ذلك، وكان بإمكانها القيام بذلك منذ بداية ظهور التنظيم، ولكن الحاصل أنها تدفع التنظيم بدقة إلى الوجهة التي تريدها، وهذا بالذات ما تعنيه النظرية الأمريكية حول الفوضى المُتحكم بها.

وفي سبيل رفق الكتاب بتقصيات ميدانية تدعم الفرضية التي يركز عليها الباحثون وتعزز طرحهم العام، يورد أحد مؤلفي الكتاب (وهو هنا المستشرق الروسي المعروف ألكسندر بروخانوف

وفي هذه النشرة من اجتماعات المنتدى التي صدرت في كتاب منفصل، جرى النقاش حول العملية العسكرية الروسية في سوريا، تلك العملية التي جرت وتجري في ظل ظروف داخلية وخارجية صعبة: تضعف الاقتصاد الروسي، والخلاف المجدد في شرق أوكرانيا، وتعميق المواجهة بين روسيا والولايات المتحدة وحلفائها على الصعيد العالمي. وقد حاول مؤلفو البحوث الواردة في الكتاب الإجابة عن الأسئلة ذات الصلة بالوضع الحالي في الشرق الأوسط وما حوله. من تلك الأسئلة: لماذا وضد من نفذت روسيا عملياتها العسكرية؛ الجوية والفضائية في سوريا؟ هل يشكل داعش تهديدا لروسيا؟ وإن كان التهديد موجودا فما هو مدها؟ ما حاجة روسيا إلى التدخل في سوريا وهل كان من الضروري حدوث ذلك؟ هل تشكل سوريا محورا روسيا استراتيجيا أم أن تواجدتها هناك من أجل حلحلة بعض مشاكلها الآنية كمكافحة الإرهاب والمناورة لرفع العقوبات المفروضة عليها من قبل الغرب وأيضا لكسب النقاط السياسية في اللعب مع أمريكا؟

ومع كل الآراء والمقالات والمدونات المعارضة للتدخل الروسي في سوريا وما تخلله من تحليل نقدي لذلك التدخل، والتي اندرجت بين دفتي الكتاب، إلا أن الكتاب بمجمعه يعكس موقف روسيا الرسمي القائل إن روسيا تتصرف بشكل استباقي، أو بتعبير أحد المشاركين، فهي تقوم بنزع «حلقة الأناكوندا» المرمية حول حدودها، وتمنع بشكل نهائي أو تؤجل بأقل تقدير حربا عالمية بدأت بوادرها بالتبلور



منظور تاريخي للعلاقات بين روسيا وسوريا. ومن المحطات التي يذكرها الباحثون في هذا السياق أنه وفي عام ١٧٧٠ جاء طلب إلى الإمبراطورية الروسية من سكان مدينتي طرطوس واللاذقية لكي تصبحا جزءاً من روسيا. وأن الأمير فلاديمير الذي حوّل الروس إلى الديانة المسيحية في القرن العاشر كان قد اعتنق المسيحية على يد مطران أنطاكية وكان سورياً، ناهيك عن وجود أكبر وحدة عسكرية استشارية سوفيتية ومن بعدها روسية في سوريا.

وردت في الكتاب نظرية نفسية حول خصوصية السياسة الداخلية والخارجية للدول والشعوب. فثمة رأي يقول إن المقارنة جائزة بين سياسة الدولة والملاحم الوطنية للشعب، بل بينها وبين الأمراض والانحرافات النفسية في المجتمع. وحول الملاحم السياسة لروسيا وتجليها العام يقول أحد مؤلفي الكتاب: «إن ملاحم شخصيتنا الوطنية تقترن بالهوس الاكتئابي والتخبط؛ مع تناوب هذين القطبين. فتبدل في تاريخنا فترات الصعود وإحراز الانتصارات الفارقة لتحل محلها الهزائم والمآسي الماحقة» (ص ٢٠٢). وإلى جانب الهوس الاكتئابي في تاريخ البلاد ثمة أيضاً ما يشبه جنون العظمة والانفصام النفسي وذلك: «عندما تحل فكرة التعددية في شخصية رئيس واحد، حينها يسلك مجتمعنا (أي المجتمع الروسي) مسلكاً انطوائياً باتجاه الحياة الداخلية الخاصة بنا وقد اعتدنا تسمية ذلك بالديمقراطية، أما في الفترات التي يستولي عليها الشعور بالعظمة وجنونها فنتجه نحو النظام الشمولي» (ص ٢٠٢).

ختاماً يشير المشاركون في منتدى «إزبورسك» إلى تشابه تنبؤات الكتاب المقدس بما يجري اليوم في سوريا والتي وفقها ستندلع في الشرق الأوسط مجزرة مروعة تقضي على ثلث ساكنته، وسيحدث ذلك بالقرب من تل مجدو (ومن هنا جاء عنوان الكتاب). وعلى هذا الأساس يرى مؤلفو الكتاب أن الحرب الدائرة في سوريا ليست حرباً بين الخير والشر بل هي حرب إبادة شاملة، حيث لا وجود لجانب خيرٍ وآخر شرير؛ وإنما الجميع ينصاعون لقيادة شيطانية ويهرولون نحو الجحيم.

الكتاب: أرمجدون السوري.

المؤلفون: ألكسندر بورخانوف، ليونيد إفاشوف،

فلاديسلاف شوريفين.

الناشر: عالم الكتب/ موسكو ٢٠١٦.

اللغة: الروسية.

عدد الصفحات: ٢٨٨ صفحة.

* مستعربة وأكاديمية روسية



وترحيل من يخالفون ذلك» (ص ٢٤-٢٥).

يرى أعضاء المنتدى أن مشكلة التطرف في جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة والواقعة على طول الشريط الحدودي الجنوبي لروسيا إنما هي مشكلة تهدد روسيا مباشرة. يقول أحد أعضاء المنتدى: «عندما كُلفت بالمشاركة في عملية إرساء الاستقرار في قرغيزستان، ذهبت إلى الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي محيي الدين القرة داغي وأقنعتهم بالحضور للوساطة. جاء الرجل والتقى بقيادة قرغيزستان، وعندما عاد كانت عيناه على جبهته كما يقال فقد وجد في بيشكيك وأوش منظمات محظورة ومدروجة في قائمة المنظمات الإرهابية ليس فقط في مصر بل وفي المملكة العربية السعودية؛ أما هنا فهي تعمل ببسر وسهولة: تبني المساجد وتعين الأئمة! وفي المقابل تقوم في روسيا بتبني نظام تفضيلي للقادمين من قيرغيزستان» (ص ٢٣).

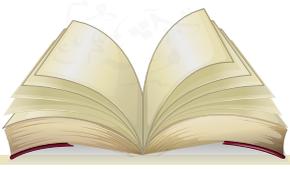
وفي معرض ردهم عن سؤال حول أسباب انتشار التطرف يعترف المؤلفون أن الدولة والمجتمع يخسران المعركة مع التنظيمات الإرهابية كتنظيم داعش، حيث لا يوجد لدى الدولة برنامج على المستوى الإيديولوجي لكسب هذه المعركة. وفي نظرهم لا يصلح لمواجهة الأيديولوجية الدينية إلا أيديولوجية دينية أخرى؛ حيث إنه ويرأي المؤلفين الثلاثة لا يبدو لما يسمى بالإسلام التقليدي القدرة على لعب هذا الدور؛ ذلك لأنه بيروقراطي ولا يلبي احتياجات الشباب. ومن جهتها فالكنيسة الأرثوذكسية في وضعها الحالي هي أيضاً غير قادرة على جذب مناضط الشباب. بل وحتى المجتمع العلماني لا يمكنه أن يقدم شيئاً منافساً باستثناء فكرة الاستهلاك من أجل الاستهلاك.

إن مناقشة القضية السورية لدى أعضاء المنتدى لهي مناقشة متعددة الأوجه، إذ تنطوي على

العراقيين يتلقون المساعدات العسكرية من ذخيرة وأسلحة من جمهورية التشيك وهنغاريا ولكسمبورغ وألمانيا وحتى من أستراليا البعيدة، كل من هذه البلدان ترسل إليهم العتاد العسكري ومعه المستشارين، ولا أحد يطلب من روسيا ذلك! وبعد زيارته لواشنطن، اتجه الزعيم الكردي مسعود برزاني لطلب الأسلحة السوفيتية وخبرائها من تلك البلدان. أما روسيا التي يبدو أن اهتمامها منصب على داعش، نجدها تركز إلى الصمت وتختار الهامش حيال هذه المسألة» (ص ٢٠).

يولي المؤلفون اهتماماً كبيراً بالسؤال الحرج الذي ما فتئ يتصاعد في العالم العربي بشكل خاص ومفاده أن روسيا تؤيد بأعمالها مواقف الشيعة في الشرق الأوسط. في هذا الصدد يؤكد الباحثون أن روسيا تقف في مسلكها مع بلدان الشرق الأوسط على تقاليد قديمة، ولديها سياسة تعمل وفقها، بينما الإصرار على أنها تتعامل مع الأوضاع هناك من منطلق ديني، إنما هو رأي مبتذل، إذ يرى الروس أن ثمة تناقضات كبيرة وعميقة تجري في منطقة الشرق الأوسط تتجاوز الانقسامات والخلافات بين السنة والشيعة وغيرهما من الجماعات الدينية. وهذا النهج الروسي يؤكد تاريخ الإمبراطورية الروسية والاتحاد السوفيتي وروسيا الجديدة على التوالي، حيث تعايشت في أراضيها ضمن نظام متناغم ومتوافق كل من السنة والشيعة (ففي أذربيجان التي كانت منذ فترة قريبة جزءاً من الاتحاد السوفيتي يشكل الشيعة حوالي ٨٥٪ من السكان).

ومع ظهور العامل الإسلامي وتفاقم القضايا الأمنية في روسيا، اكتسبت مناقشة الإصلاحات في التربية الدينية الإسلامية لدى أعضاء المنتدى أهمية خاصة: «من هم الأئمة الذين يمكن الوثوق بهم في التدريس؟ هذا هو السؤال الجوهرى، أما القول بأننا سننشئ بأنفسنا جامعات إسلامية وكفى فهو كلام لا وزن له. علينا أن نعرف العالم الإسلامي بشكل صحيح، وعلينا الالتفات إلى أن المؤمنين في روسيا يحبذون الذهاب إلى المسجد الذي يؤمّه إمام من خريجي الأزهر عن الذهاب إلى مسجد يؤمّه إمام تخرج من جامعة قازان الروسية. وفي الاتحاد السوفياتي بكل إلحاده وبالقواعد التي أرساها الحزب الشيوعي، كان الأئمة يبتعثون للدراسة في الخارج ولكن بشكل منظم ومدروس. اليوم كل من هبّ ودبّ بإمكانه السفر للدراسة الدينية، والكثير من هؤلاء ينضمون إلى الإسلاميين المتطرفين. وعليه وجب النظر في إلزام سفارتنا على القيام بواجبها في هذا الشأن. وربما يكون الوقت قد حان للتفاوض مع المصريين حول عدم قبول أي طالب روسي للدراسة في الأزهر من دون ترتيبات وتصاريح خاصة



«أحاديث عن الإسلام» لكاتجينا غوراك - سوسنوفسكا وفويتشيك تسيفيلسكي

يوسف شحادة *

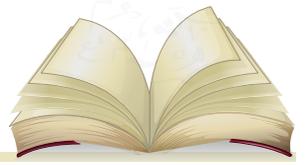
يأتي هذا الكتاب في وقت تكثرت فيه الأحاديث عن الإسلام، حاملة في طياتها أسئلة تطرح أحياناً من أجل كسب المعرفة، وفي أحيانٍ أخرى من أجل إيجاد وسيلة مسوغة للهجوم على المسلمين وعقيدتهم. ارتأى المؤلفان أن يكون كتابهما على شكل حديث حوارى بينهما، وهما المعروفان في وسائل الإعلام البولندية كخبيرين مختصين في شؤون الشرق الأوسط، والعالم العربي.

عده مجرد أحاديث فاقدة للتوثيق العلمي، بل هو سرد لحقائق وضعت في قالب معرّف، وشرح لظواهر بالغة الأهمية، يعيشها المسلمون، ويتأثر بها من هم حولهم. تتطرق الفصول الأربعة الأولى من الكتاب إلى قضايا الربيع العربي، والدولة الإسلامية وخلافتها المزعومة، والإسلام والتطرف والإرهاب، وأزمة اللاجئين. ومن المعلوم أن هذه الموضوعات يتكرر تناولها بشكل كبير في مؤلفات عديدة، صدرت في بولندا في الآونة الأخيرة. فقد قيل وكتب الكثير عن الحراك العربي منذ بداية عام ٢٠١١، وعن الإسلام والإرهاب، بيد أن الأسئلة الذكية التي يوجهها تسيفيلسكي تأخذ طابعاً جاذباً من خلال تركيزها على نقاط عديدة، تهم القارئ، وتتناغم مع ما يريد أن يعرفه. وهي تتطلب أجوبة محددة من مختص محترف، تشفي غليل المتلقي الذي يروم فهم ما جرى ويجري، بعيداً عن وسائل إعلام لا تحوز ثقته. يمكن تلخيص الحديث عما سمي بالربيع العربي بأن المجتمع المدني، والمدنيين، باختلاف البلدان التي ينتمون إليها طبعاً، هم أكثر الخاسرين من اشتعاله. أما الرايحين فهم - على حد تعبير المؤلفة - قائمة مركبة، أولها الدولة الإسلامية - صاحبة الخلافة المزعومة، وبعدها تأتي الأنظمة العربية التي صمدت في هذه الفترة العاصفة أمام الاحتجاجات الشعبية، والمظاهرات الصاخبة، وتمثلها دول الخليج العربي، والجزائر، والمغرب، والأردن، ولبنان. وتكون المؤلفة رأياً معتمدة على مقياس الربح والخسارة، لتصل إلى نتيجة تقترب من حس الشعوب العربية تجاه هذه القضية، مدركة أن آراء الشارع العربي منقسمة حول هذا الموضوع. وتجيب بتشكك على سؤال تسيفيلسكي حول جدوى الربيع العربي، مؤكدة أن الجواب صعب صعوبة إيجاد حقائق تثبت أن ذلك الربيع كان يستحق كل ذلك العناء، بعكس بحر الدوافع التي تسمح بالزعم أن الوضع أسوأ بكثير مما كان عليه. والأسوأ من ذلك أن لا فرصة تلوح في الأفق لتحسن سريع في الأحوال. تتحدث غوراك - سوسنوفسكا في أجوبتها عن مشكلة ما يسمى «الدولة الإسلامية»، والخلافة المزعومة، من منظور تاريخي، وآخر سياسي - اجتماعي، يسبر تضاريس البيئة التي ساعدت على تشكل هذا التنظيم المتطرف، المدعي أنه يمثل الإسلام الصحيح على أساس

الإسلام، على حد تعبيره، «يغدو صعباً للضرب متهما بكل المصائب الممكنة: الإرهاب، والحقد، والتعصب القومي، والعنصرية، والعدوانية، والسذاجة.. وهذه التصنيفات لا تحصى» (ص ٥). جميع الصفات السيئة تلصق بالإسلام، فلا يمكن أخذ جانب الصمت، رغم أن المرء - كما يكتب دانيتسكي - تتملكه الرغبة أحياناً في أن يصمت، لكنه يرى أن الكلام واجب، فكل شيء يمكن شرحه، والبحث عن الحجج المنطقية، وإظهار الواقع الموضوعي. ونجد في كلام البروفيسور دانيتسكي قدراً كبيراً من الصواب، إذ يؤكد أنه من الجيد أن يكون مؤلفاً هذا العمل غير مسلمين ليكتبوا بحيادية وموضوعية، ويرى أن العدو الرئيس للحضارة الغربية لا يمكن أن يكون المسلم الحقيقي. ونجده لا يجانب الصواب حين يقول إن الحوار بين المؤلفين في هذا الكتاب «ليس دفاعاً دينياً، بل هو عرض واقعي للإسلام في الواقع الراهن، ووصف موضوعي للجوانب السيئة والجيدة فيه. وبطبيعة الحال يتلقى النقد، أيضاً، أولئك الذين يحاولون تحويل البعد الموضوعي للإسلام، والاستهزاء به، وتشويهه» (ص ٧).

الكتاب حافل بموضوعات تتشعب محاورها ممتدة إلى أربعة عشر فصلاً، تتخللها مئات الأسئلة المتعلقة بجوانب شديدة التنوع من حياة المسلمين السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والفكرية، والاقتصادية؛ يطرحها تسيفيلسكي، وتجيب عليها غوراك - سوسنوفسكا. ولا يخلو الأمر من مداخلات، وملاحظات، يلقيها السائل محاولاً الاستيضاح من محاورته، أو التعليق على آرائها. يبدو لمن يقرأ هذا الكتاب مدى الجهد الكبير الذي بذلته غوراك - سوسنوفسكا في جمع هذا الكم الهائل من المعلومات. وتظهر كأنها محيطية بأدق التفاصيل المرتبطة بحياة المسلمين، بدءاً بالربيع العربي، وخطر الدولة الإسلامية، ومروراً بالشريعة والنظام المصري الإسلامي، ووضع المرأة، والحجاب، والبرقع، وليس انتهاء بنظرة الإسلام إلى الجنس والشذوذ. في الحقيقة يمكن القول بأن المعلومات التي تقدمها المؤلفة تشكل موسوعة شاملة، تمكن القارئ غير المسلم من أن يلم بقضايا المسلمين الملحة في الوقت الراهن، مشفوعة بشرح الخلفية التاريخية لكثير منها. فالكتاب لا يمكن

البروفيسورة غوراك - سوسنوفسكا، وهي أكاديمية، وصاحبة مؤلفات عديدة في الشأن العربي والإسلامي، تجيب على أسئلة الصحفي فويتشيك تسيفيلسكي. وهذا الأخير اكتسب خبرة طويلة من خلال عمله مراسلاً حربياً للإذاعة البولندية، وخاصة في أثناء حرب أفغانستان، وحرب الخليج، والغزو الأمريكي للعراق، والعدوان على غزة. تدرك غوراك - سوسنوفسكا أهمية الموضوع الإسلامي الذي - كما تذكر في مدخل مؤلفها - دفع دار ديالوغ، وهي دار نشر مرموقة، أن تطلب نشر كتاب عن قضايا الإسلام، التي شغلت الرأي العام الأوروبي في الآونة الأخيرة. يأتي كلام المؤلفة مقنعاً في إيضاح الحاجة إلى مثل هذا العمل: «لقد حدث فعلاً أن أصبح الإسلام في السنوات الأخيرة المنصرمة أحد أهم الموضوعات الجاذبة لانتباه الرأي العام الأوروبي. فظهرت نقاشات كثيرة عن المسلمين، منها تلك التي أتت في سياق أفعال الخلافة المزعومة، المسماة الدولة الإسلامية، أو تلك النقاشات المرتبطة بالتحديات المتعلقة باندماج الجالية المسلمة في أوروبا، أو كذلك تلك التي تتناول وضع المرأة ودورها في الإسلام» (ص ٩). أما كلمة تسيفيلسكي في مدخل الكتاب، فتؤكد أن مقاربتة للإسلام تختلف قليلاً عن مقاربة زميلته غوراك سوسنوفسكا. ورغم هذا الاختلاف، فثمة انفتاح على الحوار بينهما: «إننا نسعى إلى رسم نظرة نقدية للمسلمين، لا نقومهم، لكننا نسعى إلى تقريب الحقائق، وإظهار الإسلام الحديث كما هو في الواقع» (ص ١٣). يود تسيفيلسكي، من خلال تجربته، أن ينقل للقارئ رأيه في المسلمين الذين احتك بهم في ميادين العمل والقتال. فتراه لا يتوانى عن التصريح بوجهة نظره عن المسيحية والإسلام: «رغم أننا نؤمن بالهين مختلفين، فحقيقة الأمر نحن نتحدث عن أنظمة قيم متشابهة جداً. وهذا مما يتحدث عنه الكتاب، فالإسلام ليس مجموعة من الانتحاريين المدججين بالسلاح، بل هو قبل كل شيء، بحث عن الخير والجمال، وهما عندنا يُمثلان الرب، وعندهم الله» (ص ١٣). من الأمور التي ترفع من مصداقية هذا الكتاب كلمات شيخ المستشرقين البولنديين، المختص في الدراسات العربية والإسلامية، البروفيسور يانوش دانيتسكي، التي دونها في المقدمة. وتراه يشير إلى صعوبة تناول هذا الموضوع لأن



باربي المسلمة، وشراب الكوكا كولا. كل هذا يأتي في شرح واف للنزعة الاستهلاكية في محتواها السياسي- الاجتماعي. يتخذ الفصلان الأخيران طابعا اقتصاديا، يدور الحديث فيهما عن البترودولار، والنظام المصري الإسلامي. والحديث عن النفط يفتح باب حياة المال، والبذخ، ويركز على تأثير الثروة في تغير نمط الحياة في بلدان الخليج العربي، وانعكاساته على مختلف شرائح المجتمعات الخليجية. ونجد وصفاً شاملاً للمصارف الإسلامية وآلية عملها، ومنطلقاتها التي تتميز عن غيرها، في الدرجة الأولى، بمبادئها الأخلاقية. وتسوق المؤلفة بعض التفاصيل، التي تنظر إليها كطرائف تحدث في مسيرة عمل البنوك الإسلامية، ومنها على سبيل المثال أن المصارف الإسلامية في عُمان تخدم النساء من خلال كوى خاصة، وبذلك يصبح طابور الانتظار أقل بكثير مما هو عليه عادة.

ينتهي الكتاب بثبتين ضم أولهما نبذة عن الشخصيات التي ورد ذكرها في الكتاب، وحوى ثانيهما معجماً بالمصطلحات العربية الواردة في الأحاديث، متبوعة بشرح لمعانيها باللغة البولندية. وهذا أمر حسن يمكن القارئ من الفهم الدقيق لمعاني المفردات العربية، التي تستخدم في اللغات الأوروبية لدى الحديث عن الإسلام، والثقافة العربية.

لا بد من القول إن كتاب «أحاديث عن الإسلام» يقدم فائدة جلية للقارئ الراغب في معرفة الإسلام، وقضاياها الأكثر تناولاً في عصرنا الحديث، معرفة موضوعية تتكشف من خلالها حقيقة الأمور، التي قدمت له بشكل مغلوطة، أو مشوه. وهذه الأحاديث لا تحابي المسلمين، بل تنقد أحياناً ظواهر سلبية تشوب مجتمعاتهم، لكنها في الوقت ذاته تقف مدافعة عنهم، واثقة من أنها تدافع عن الحقيقة، وتبتغي أن تكون لها اليد العليا في الحياة الإنسانية. وقد يبدو أن هذه الأحاديث تفتقر إلى منهجية التوثيق العلمي، إذ لا تعتمد الشكل الأكاديمي لتوثيق الشواهد والمقبوسات، وردّها إلى مراجعها، أو مصادرها. لكن ذلك لا يقلل من شأنها، ومن سعة معينها الزاخر بتفاصيل مثيرة، وأطاريح شديدة الثراء المعرفي. فكل سؤال إشكالي طرحه الصحفي في حوار مع غوراك - سوسنوفسكا، احتاج إلى كم كبير من المعلومات، جمعتها وأحسنّت في تمحيصها، معتمدة على معرفتها بعالم الإسلام، وخبرتها في البحث والتحليل. لا شك أن هذا الكتاب أفاد من تجارب عاشها من هم على صلة بهذا العالم وأهليه، أسبغت عليه المصداقية والموضوعية.

عنوان الكتاب: أحاديث عن الإسلام

المؤلفان: كاتاجينا غوراك - سوسنوفسكا، فويتشيك تسيفيلسكي

الناشر: دار النشر الأكاديمية ديالوج DIALOG

مكان النشر: وارسو، بولندا

سنة النشر: ٢٠١٦

لغة الكتاب: البولندية

عدد الصفحات: ٢٤٨ صفحة

* أكاديمي فلسطيني مقيم في بولندا



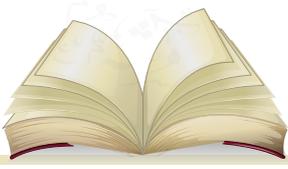
سبيل المثال لا الحصر، عادة تقبيل الخد عند لقاء الأصدقاء بعد طول غياب.

من القضايا التي يعود إليهما المؤلفان، ويفردان لهما فصلين مُستقلين، مسألتان تتعلقان بالمسلمين في أوروبا، وفي بولندا تحديداً. وهذا يدل على أهميتهما المستمرة، مع أنهما قد عولجتا في مؤلفات عديدة باللغة البولندية. ورغم التكرار الذي يعتري الكلام عنهما، يمكننا إيجاد الجديد والمفيد فيهما، من خلال النظر إلى المحطات التاريخية التي أشرت في العلاقة بين الجاليات المسلمة في القارة العجوز، والمحيط البشري المغاير لها دينياً وثقافياً. والشيء الثابت في هذا كله موقف غوراك - سوسنوفسكا المتسلح بالموضوعية والتسامح، الحاث على فهم الآخر، وإدراك التنوع، رغم الأسئلة المربكة التي توجه إليها في الحوار. ومنها الأسئلة المتعلقة بالقانون الإسلامي، فعلى سبيل المثال، لدى السؤال عن القرآن، وطبيعة أحكامه، «أفاسية هي أم مُتسامحة؟» ترى أن مثل هذا السؤال يجب أن يوجه للمسلمين. ورغم حياديتها الظاهرية، تبدي رأيها في الفرق بين السور المدنية، والسور المكية، متكئة على ما استجعت من معلومات من خلال قراءتها في هذا المجال.

الفصل الحادي عشر يُعالج موضوعاً ذا أهمية كبرى، تُفند فيه الصورة النمطية المضللة التي يرسم بها الأوروبيون المسلمين. وتُقدم فيه أجوبة تدحض المزاعم التي تنسج حول العرب ودينهم، ومنها ما يتعلق بما يشاع عن العربي أنه يضرب زوجته، وأنه لا يهتم بالنظافة فلا يستحم، وأن الإسلام متخلف ينتمي إلى العصور الوسطى، وأن كل مسلم متعصب. وتتسع محاور الحوار، فتخرج مما قد يبدو مساراً ساذجاً لتلامس فضاءات فكرية معقدة، منها نقاش تحليلي لكتابات سلمان رشدي، صاحب «آيات شيطانية»، وحديث عن قضية المخرج ثيو فان غوخ، الذي اغتاله متطرف مسلم. ومن الموضوعات الطريفة التي يثيرها الحوار في فصل مستقل مسألة الثقافة الاستهلاكية، حيث تتنوع الأسئلة لتثير نقاشات، تتناول تفاصيل دقيقة في عالم الموضة، وخاصة ما يتعلق بلباس المرأة، ولعبة

خلافة كاذبة. وإن كانت أجزاء كبيرة من سوريا والعراق تعد مناطق حاضنة للتطرف الداعشي، فهذا لا يعني أن التطرف لا يتغذى من روافد خارجية، وخاصة من الجاليات المسلمة في أوروبا. وتحديث المؤلفة عن دوافع مختلفة، تجعل الشباب المسلم ينخرط في صفوف داعش. وتلك الدوافع ليست بالضرورة ناتجة عن العطالة، أو التهميش، أو حتى التمييز، وإنما عن رغبة الشباب في البحث عن شيء جديد في حياتهم، فيسهل جذبهم إلى صفوف المتطرفين، الذين يرفعون شعار الخلافة البراق. تجيب غوراك - سوسنوفسكا عن أسئلة صعبة تتعلق بالتطرف والإرهاب، وتستدعي هذه الأجوبة شرحاً وافياً للتفريق بين الإرهاب، والكفاح الفدائي المسلح لتحرير الأرض أو الدفاع عن الوطن. ومن ناحية أخرى، تسرد معاني الجهاد في الشرع الإسلامي موثقة أنها لا تقتصر على المعنى الذي يُسوّق في الإعلام الأوروبي، على أنه مقصود به الحرب المقدسة. ينبغي القول هنا أن هذا السرد صحيح من ناحية معاني الجهاد اللغوية والفقهية، لكنه يصطدم بالمعنى السياسي الذي تتبناه المنظمات الإسلامية المتطرفة. أما أزمة اللاجئين، فيتسم موقف المؤلفة منها بالإنسانية، وترى أن الموقف العام المعادي للاجئين في بولندا قد فاق المعقول، مع أن هذه البلاد لا تحتوي إلا على عدد قليل من المهاجرين، ولا تقف عند حدودها حشود اللاجئين. وتحاول تقديم تحليل لهذا الأمر، فترده إلى أسباب دينية بالأساس، واقتصادية بدرجة ثانية. لكنها لا تبرره، بل تقف ضده مطالبة بقبول الهاربين من الحرب على أساس إنساني، لا ديني أو قومي. فيجب النظر إلى اللاجئين - حسب رأيها - على أساس أنه إنسان يحتاج المساعدة.

لقد نوقشت قضية المرأة المسلمة، ووضعها من منظور الشريعة، باستفاضة في أدبيات أوروبية كثيرة، لكن العود إليها، في فصل مستقل من هذا الكتاب، يأخذ منحى طريفاً يبعدها عن أجواء المؤلفات التقليدية. فهي تأتي على شكل حوار، يتقمص فيه الصحفي تسيفيلسكي شخصية البولندي الذي تعيش في أفكاره صورة نمطية مزرية عن أحوال المرأة المسلمة. وتقوم محاورته بتفنيد الأطاريح السلبية، ومنها تلك التي لا دخل للإسلام بها، إذ هي نتاج أعرف وعادات اجتماعية محض. بيد أن الموضوع الذي يتسم بأهمية كبيرة، كونه قد يدخل ضمن المسائل المسكوت عنها، يتمثل في تناول قضية المثلية الجنسية في الإسلام، وكذلك الحياة الجنسية للمسلمين، حيث يخصص لهما المؤلفان فصلين لا بأس بهما من الكتاب. وتأتي أجوبة سوسنوفسكا في هذا الشأن جريئة، ومستندة إلى إدراك أحكام الدين الإسلامي، وتجارب المسلمين التي نقلها إليها بعض أصدقائها. ونلمح تكراراً في هذين المبحثين مما ورد في كتاب لغوراك - سوسنوفسكا، صدر في عام ٢٠١٢ بعنوان «المثلية والإسلام». وقد تكون العلاقات الحميمة موضوعاً يصعب الخوض فيه دائماً، لكنه يأتي هنا على شكل أجوبة مقنعة في معظم الحالات، ومع أنها تتشظى إلى تفاصيل كثيرة، فالمؤلفة لا تغفل عن تناولها بالتمحيص والتحليل. ومن ذلك، النظر في جزئيات تبدو غريبة بالنسبة إلى الأوروبيين، على



الكارثة والإبداعية والتجديد الحضاري توماس هومر - ديكسون

محمد الشيخ *

هذا كتاب مداره على التأمل في الصلة بين «الحضارة» و«الطاقة» يمكن أن يُقرأ كأنه «أدب رحلات» بطله لا المؤلف نفسه، وإنما هذان القطبان اللذان عليهما مدار الكتاب بأكمله: الطاقة والحضارة. وهو عبارة عن رحلة طويلة في الجغرافيا والتاريخ، أشبه شيء يكون بالوقوف على الأطلال - من أطلال «كوليزيوم روما» إلى «حجر الحبلى» ببعليك، وكلاهما ظلل روماني - ولا غرابة في أن يختار المؤلف أن يكون الطللان رومانين؛ لأنه يرى أن ما أشبه الحاضر بالماضي، فكما أن روما القديمة انهارت بعد نفاذ الطاقة، فإن حضارتنا المعاصرة توجد على شفا الأفول للسبب نفسه، إلا أن تنجو بفضل من وعيها بأسباب الأفول، ويفضل عملها على ترشيد استخدام الطاقة. ذلك أن المؤلف يرى أن أصل نشأة الحضارة إنما هو الطاقة، وأن أساس حفظ الحضارة إنما هو وفرة الطاقة، وأن سبب موت الحضارة إنما هو نفاذ الطاقة. والذي عنده، أن كل هذه الأفكار عن الطاقة - إيجادها، صونها، فقدتها - كفيلا بأن تجعلنا نفهم لماذا سقطت الإمبراطورية الرومانية؛ وبالتالي أن نتخبر عما هو المصير الذي ينتظر المجتمعات المعاصرة - غنية كانت أم فقيرة.

بأن ظروف العالم الحالية تشبه بشبه قريب ظروف روما القديمة. إذ ما فتحت تسمى المجتمعات الحالية أكثر تعقداً فأكثر، وأحياناً أشد تصلباً فأشد. وقد حدث هذا الأمر، في جزء منه على الأقل، لأننا نحاول، وغالباً ما يكون ذلك بنجاح محدود، تدبير أمر إكراهات مجتمعاتنا، بما في ذلك الضغط الناتج عن شرفنا الضخم إلى الطاقة التي نحتاج إليها بأسس حاجة تكون في أن ندير مصانعنا وأن نسخن بيوتاتنا وأن نشغل سياراتنا. وكما حدث في روما، فإن التوترات يمكن أن تصير أشد، ومجتمعاتنا تصبح أكثر تطلباً لكي تستجيب إلى كل هذه التحديات الطاقية؛ ولذلك لا محالة من أن تحدث أزمة اقتصادية أو سياسية.

ويؤكد المؤلف أنه ما كان متفرداً بهذا الرأي لوحده: ففي هذه الأيام، كثير من الناس يستشعرون أن العالم ليس على ما يرام، وأن الأزمة التي تتهدده ليست أزمة عادية؛ حتى أن بعض المتدينين يحسبون أننا على مشارف نهاية العالم. وهكذا أمست الموازنات بين روما القديمة والعالم المعاصر متداولة بين العديد من الناس، وأضحت العظات الدينية، وحتى بعض التحليلات العلمية، تعج وتضج بالصور القيامية عن الأذى المقبل. لكن، من يدري أنه حيثما «المملكة» تلوح ثمة «المنجاة»، على نحو ما حدث في قصة حريق سان فرانسيسكو؟ فمن رماد الحريق انبعث النظام البنكي الأمريكي العتيق. والأمر أشبه ما يكون بقيادتنا السيارة في جو مليء بالضباب: بعض الناس متفائلون في مستقبل قدرتنا على مواجهة المفاجآت، ويرون مستقبلاً زاهراً في رأسمالية عالية موسعة ومعقدة وفي ديمقراطية واسعة وفي حقوق إنسان أشمل وفي تقدم تقني أهم... وكل ذلك في مسعى للعالم نحو سعادة أكبر ورفاهية أوسع. فهم يتجاهلون الضباب، ويضعفون أكثر على الدواسات. على أن بعضهم الآخر يريد خفض السرعة مخافة الحوادث، بل لا يعرفون حتى ما الذي ينبغي لهم أن يقوموا به وعرباتهم تسير سيرها المترنح.

ومن هنا يبرز السؤال: ترى ما الذي سيكون عليه مستقبلنا؟ وجواب المؤلف أن علينا جميعاً أن نعرف بأن الطريق الذي ينبغي اتباعه لن يكون مستويًا ومنبسلاً ومجولاً. فلننا نعرف متى ستكون المفاجآت في انتظارنا على الطريق، خصوصاً وأن السرعة التي نسير بها عالية. والسؤال الذي يطرح: ما هو نوع المشاكل التي ستواجه حضارتنا مستقبلاً؟ وكيف يمكن أن نواجهها؟ بل كيف يمكن أن نستغل الفرص التي قد تتاح من أجل تحقيق انبعاث جديد؟

تشرح الحضارة المعاصرة في اثني عشر فصلاً يكاد كل فصل في الكتاب يبدأ برواية أو «حدوثة». وهكذا يبدأ الفصل الأول بحوادث عاشها المؤلف الخميس ١٤ غشت ٢٠٠٣. عن العطب الكهربائي الأكبر الذي أصاب مدينة تورنتو الكندية: كل

إذ كانت الظروف الضاغطة والعمائية لعالم اليوم تشبه، بمعنى ما من المعاني، تلك الحيثيات التي كانت توجد لما انهارت الإمبراطورية الرومانية الغربية في القرن الخامس بعد الميلاد؟ وكيف لما بدا أنه دائم الديمومة الأبدية فإذا به يتحول إلى أنقاض أنقاض؟ وبطبيعة الحال، طوال القرون الماضية عديد هم الذين طرحوا الأسئلة ذاتها التي يطرحها المؤلف، لكن الرجل يرجو أن يعلم شيئاً مفيداً بطرحها اليوم على ضوء الدراسات الجديدة التي تدور على مسألة: لم تنهار المجتمعات في بعض الأحيان؟

وبعد، يتساءل المؤلف: أليس من شأن كل واحد منا أن يتحير في أسباب انهيار روما التحير أشده؟ ذاك هو ما كان يحيره منذ نعومة أظفاره. فبعد كل هذه الصولة أنت السقطت. وما قاده إلى العناية بالتاريخ إنما هو «هشاشة البشرية». وما بني على هذه الهشاشة. الحضارة. يكون لا مرية من الأفلين. وإذا حق أن التأثير الروماني لا يزال حاضراً في الثقافة الغربية، فإنه ما عاد سوى صدى أفتات ذكرى. لقد خبر الطفل الصغير أن كل شيء باطل، كل شيء فان.

وعلى الأقل، أظهر تاريخ روما أن كل الحضارات، بما فيها حضارتنا الحالية، يمكن أن تتغير، وذلك بأن تجنح نحو الكارثة. ويجد المؤلف أنه لطالما صرنا نداري هذه الحقيقة بانشغالاتنا التي نريد أن نضمن بها الخلود، ولا خلود. لكن نموذج روما الآفلة يبقى أيد الدهر خالداً في الأذهان؛ وماذا لو استطعنا فهم ضعف روما المميت، فلربما نستطيع مجتمعاتنا أن تتفادى مصيرها ممانلاً، وأن تحفظ إنجازاتها إلى أيد الأبدية. وبطبيعة الحال، فإن من شأن من له أدنى معرفة بالتاريخ، أن يعلم أن روما سقطت تحت ضربات برابرة الشمال الموصولة، لكن ليس هذا سوى رأس الجبل الجليدي العائم في المياه، أما الحقيقة الخفية فتكمن في «تعقد» مكونات المجتمع الروماني وفي البيروقراطية وفي القوى العسكرية وفي المدن وفي الاقتصاد وفي القوانين... وإذ كانت روما توجد على درب السقوط، وكانت تريد أن تحمي تعقدها، فإنها كانت تحتاج إلى الطاقة أكثر فأكثر، وكانت لا تجد منها الكثير الذي تحتاج إليه للحفاظ على قوامتها. ومع مرور الأيام، وبفضل فرض مزيد من الضرائب ثقل العبء على المزارعين، بينما التعقد المتزايد خنق الإمبراطورية ومنعها من التجدد. وكان ما كان من الانهيار الذي تلا ذلك على نحو درامي: نقص عدد الساكنة في الحواضر والمدن نقصاً مهولاً، وانخفضت التبادلات بين المناطق، واستشرت اللصوصية والقرصنة، وتوقفت البنية التحتية، واستحالت المؤسسات. من حكومات محلية وجيش أكثر بساطة في وظيفتها وتنظيمها... أطروحة الكتاب الأساسية

وهنا يأتي المؤلف إلى ذكر أطروحة الكتاب الجوهرية: وهي تقول

بين الأمس واليوم العبرة من الوقوف على الأطلال بداية الكتاب أشبه شيء تكون بوصف يوم قيامة. لقد أوشكت أن تقوم قيامة مدينة سان فرانسيسكو الأمريكية ذات يوم من أيام أبريل من عام ١٩٠٦. وينقل المؤلف أجواء «جهنمية» و«قيامية» عن المدينة: زلزال مدمر، صاعقة قاتلة، حريق مهول... لكن يتبين في قلب نقمة سان فرانسيسكو نعمة: هذه الدواهي هي التي أنشأت إثرها الخزينة الفيدرالية للولايات المتحدة الأمريكية والتي هي آخر بنك - ملاذ يتم اللجوء إليه في البلاد مجعول بغاية مقاومة أية داهية مالية كبرى، وذلك بما يجعل منه إحدى أهم وأمن مؤسسات القرن العشرين.

ثم سرعان ما ينتقل المؤلف بنا. وأية نقلة هي. إلى روما يوم ١٣ مايو ٢٠٠٣ ولحظة سكينه يحيها المؤلف وسط «فوروم» روما الذي كان يشكل المركز السياسي والديني والعمومي في تاريخ روما القديمة. ويعرب لنا المؤلف عن سر هذه النقطة العجيبة الغربية، فيخبرنا، أولاً، عن سر زيارته لروما: يريد أن يفهم بدءاً من هذا الموقع التاريخي المشاكل المعقدة التي تواجهنا اليوم. خصائص الطاقة، التغيرات المناخية، الأمراض، الأزمة الاقتصادية. ويخبرنا أنه لئن كانت هذه اللحظة لحظة هدوء في وسط شهر مايو من عام ٢٠٠٣، فإن قسماً من العالم يشهد على رجة قوية: سلسلة عمليات انتحارية هزت إسرائيل، والإرهابيون هاجموا الأهداف الغربية بالرياض وبالدار البيضاء، وأعلنت أندونيسيا الحرب على ثوار أشي، وحدثت الأمم المتحدة من حرب إبادة جماعية جديدة شمال شرق الكونغو، ومرض «سارس» ناشر للهلح في بكين وفي تورنتو مسقط رأس المؤلف، والولايات المتحدة حققت انتصاراً في نزاع غير متكافئ مع صدام حسين... وقد بدا أن الولايات المتحدة أمست قوة إمبراطورية عظمى، وبكل تأكيد الأعظم منذ الإمبراطورية الرومانية، ولربما على اعتبار الهوة التي تفصل بين أمريكا ومناقصها الأقرب منها قوة عسكرية واقتصادية. الأقوى في كل الأزمنة.

كل هذه الرجة أظهرت ألا شيء يمكن أن يكون آمناً، وقد بدت الصدمات والمفاجآت تنقض على العالم من كل حذب وصوب وبأسرع من أي وقت مضى. وما قد جلس المؤلف بين أنقاض روما يتخيل كيف كان يبدو مشهد المنطقة قبل ألفي عام، وكان أن سأل نفسه: ترى أكانت للرومانيين نفس الإحساسات التي نشعر بها اليوم. من هزات للعالم مخيفة ومنذرة بالشؤم. وهم يحيون في عالمهم؟ وهل تم تحدي يقينياتهم في عالم بدا لهم أنه وكأنه لن يزول أيد الدهر الزلزلة التي كانت وشيكة؟ أم هل بدت لهم الأحداث بلا إمكان للتحكم فيها؟ وقد دفعت هذه التساؤلات المؤلف إلى الاستفهام عما



جهد أكبر انتهى إلى استنزافه الاستنزاف أكمله. واليوم، تواجه البشرية نفس النزوع. فقد استنزفت الكثير من البترول والغاز الطبيعي والطاقة الكهربائية، وما هي راحة إلى مزيد استنزاف نحو بدائل طاقة شمسية وريحية ونووية. وما هي تنفق الكثير من الطاقة للحصول على طاقة أكبر، علما بأن حاجاتها الطاقية، بالقياس إلى روما، أمست أعقد .. وكلما كان المرقى أيسر، كان السقوط أصعب.

والحال أنه على مر الفصول، يتبين أن الطاقة أضحت اليوم مشكلة المشاكل التي يعاني منها العالم: مشكلة في العلاقات الدولية، ومشكلة في التلوث البيئي المؤدي إلى التغير المناخي، ومشكلة في انتشار الإرهاب بسبب عدم استقرار منطقة الطاقة بامتياز ..

وأخيرا، يرد المؤلف على أولئك الذين يوجهون أطروحته قائلين بأنه من غير المعقول الموازنة بين مصير روما وأفاق العالم اليوم، راثين بالصد أن بدل التحلل ثمة التنمية، وبدل العنف ثمة انخفاضه بعد الحرب الباردة، وأن الديمقراطية أدت إلى إشاعة السلم في العالم الثالث، فيرى أن هذه النظرة تبسيطية إلى حد الخطورة. فمن شأن الأنظمة المعقدة. مثل الحضارة. ألا تنمو على نحو امتداد الخط المستقيم، وإنما على نحو تقدمات وإكراهات

وعتبات وانحرافات وتغيرات فجائية في التوجه ... واليوم، كما في الإمبراطورية الرومانية المتأخرة، الإكراهات العميقة في ازدياد، وقدرة العالم على الاستشفاء في تراجع. وكما كان العالم القديم تحت إمرة روما، فقد أمسى اليوم في عهدة الولايات المتحدة. وكما رفضت روما قديما الانتقال من نظام شديد الاستهلاك للطاقة إلى نظام قليله، فكذلك الولايات المتحدة الأمريكية ترى اليوم في هذا الانتقال خطرا على هيمنة البلاد على العالم، وهي مستعدة لما فعله الرومان بدافع من التعطش إلى الطاقة: سلوك طريق العنف

لفرض الرقابة على العالم بأجمعه. والنتيجة المحتملة: صراع ضار على مصادر الطاقة، وتنام للحركات الإرهابية ...

لكن حينما نذكر «المهلكة» تتبدى تلوح بشائر «المنجاة» أيضاً. والمنجاة هي ما يسميه المؤلف «الانبعاث». صحيح، لكم هي كانت الحضارة الغربية المعاصرة مبدعة، ولكنكم هي كانت أيضاً محظوظة! لكنها في العقود الأخيرة سوف تصبح وجهها لوجه أمام شح البترول

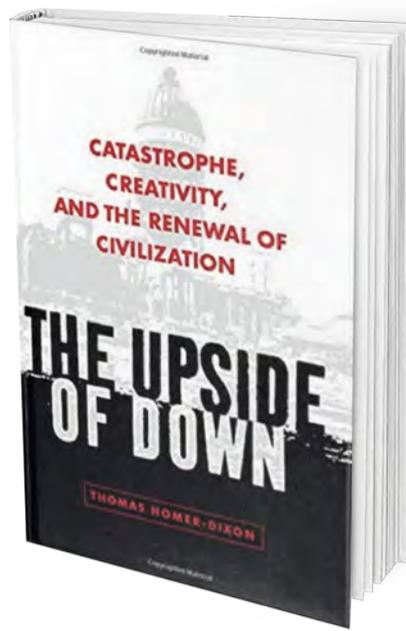
وسخونة الأرض واضطراب مناخها وخطر تملك الإرهابيين لسلاح دمار شامل. على أنه ليس ينبغي للمرء أن يكون «جبرياً». فلا زال ثمة مكان للاختيار، ولا زال هناك متسع لاستدراك ما فوتنا علينا في الماضي. وما عاد ثمة من مجال لا للإنكار، ولا للتهوين، ولا للمداراة. لا بد لكل العقول، المتشاطرة للأفكار عينها الواقفة على تلك المخاطر المحدقة بنا الرائية إلى تحقيق الانبعاث،

من أن تتعاون. والحل كل الحل في الانتقال من فورة مطلب النمو غير المتناهي. داعي التنمية الذي لا حد له. إلى حكمة مطلب الاستشفاء وتضميد الجرح. داعي التداوي. كلا، ما عاد الطريق ضبابيا، وإنما أمست لنا معارف وخبرات يمكن أن نوظفها كأنها بوصلات نستهدي بها لكي نعين أنفسنا في اختيار مسارنا بفضل هدنة مستقبلية مكونة من مفاجآت ومن مخاطر ومن فرص.

اسم الكتاب: الكارثة والإبداعية وتجديد الحضارة
Catasrophe, Creativity, and Renewal
of Civilisation
The Upside of Down
اسم المؤلف: Thomas Homer-Dixon
دار النشر: Island Press
مكان النشر: Washington, Covelo, London
لغة النشر: الإنجليزية
عدد الصفحات: ٤٣١

الحال أن الدرس الذي نفيده من تجربة روما درسان: الدرس الأول: في ما يخص متطلبات الطاقة، لا تختلف المجتمعات الغنية عن المجتمعات الفقيرة والقديمة. فهي تتطلب تدفقات من الطاقة ضخمة للحفاظ على تعقدها ونظامها وزيادتهما. وبلا هذا الاستهلاك لا استمرار. وهذه المخاطر تدفع المجتمعات إلى البحث بلا هوادة عن مصادر طاقة، وعلى المراقبة العدوانية للمناطق التي توفر لها الطاقة (أمريكا والخليج مثلا).

الدرس الثاني: وهو درس أقل بدوا وأكثر أهمية. في بعض الأوقات تبدأ تقنيات إيجاد واستعمال الطاقة بالتدني إلى حد الإفناء. وهذا ما حدث للنظام الطاقى الغذائى الرومانى القديم الذى استنزف الأراضى وراح يبحث عن أراض أقل خصبا، مما تطلب منه بذل



المؤلف «العبء الثقيل» الذي ليس يمكن أن يحتمل بأي وجه. والذي ترمز ليه صخرة الحبلى ببعلبك التي يجد فيها المؤلف أن الرومان تركوها هناك عربونا على حضارة ما عادت تملك الطاقة والمقدرة على نقل مثل تلك الحجارة الضخمة. فإنه لا يمكن أن يعالج مشكلة واحدة ثم ينتقل على الترتيب... بل تجده يتخبط في هذه المشاكل حد الانهيار التام.

ومما يزيد الطين بلة، أننا نواجه هذه الاحتمالات إما بالإنكار. على نحو ما تفعله النعامة. أو بالتكؤ في التدبير. وبيدع الكاتب مفهوم «الانبعاث» أو «النهوض من الكبوة»، ليستنهض الهمم إلى الدعوة إلى تجديد الحضارة في أنظمة معقدة شأن نظام الحضارة، كما يؤكد على أن ثمة دائما «عتبة» للتخطي إما نحو الأسوأ أو نحو الأفضل.

وتسير بقية الفصول على هدي ما خطه المؤلف في هذا الفصل الأول الجامع، بحيث يفصل القول. فضلا فضلا. في هذه «الإكراهات» الخمس وفي هذين «المضاعفين» الإثنين، مقدما الطاقة على كل شيء تفسيراً لقيام الحضارات وانهيارها.

فما أشبه الحاضر بالماضي: الطاقة هي «حجر الزاوية» في كل الحضارات ولكل المجتمعات. ألا كم كانت الحضارة الرومانية تحتاج إلى زخم طاقة من الرجال ومهاراتهم: الرجال آلات هنا للزراعة وللبناء وللنظام وللتسيير وللتشريع وللتفاوض وللتربية وللتمرين ... أنشؤوا من الشمس. مصدر الطاقة الأساسي أيامهم. طاقة لمزارعهم، واستولدوها زراعا، ثم بالغذاء بنوا سواعد الرجال وشيدوا المباني والمصانع والمسكن والعجلات ... لكن كانوا من الطاقة دوما في خصاص .. وفي ذلك كمن سبب أقولهم. والتشظي الذي عاشوه والتذرر الذي شهدوه كان بمعنى ما من المعاني أزمة دينامية حرارية: أي أزمة طاقة. ذاك كان مصير روما، فما الذي سيكون عليه مصيرنا؟

وهنا يظهر طرح المؤلف بكل وضوح: ما هي العوامل التي يمكن أن تجعل من مجتمع ما مجتمعا قابلا لكي يلحق به العطب أو حتى يصاب بانهيار تام؟ ناقش المؤرخون والمتخصصون في العلوم الاجتماعية هذه المسألة لزمان طويل، ولم يتوصوا فيها إلى نتيجة واحدة. لكن المؤلف يعتقد أنه حصل على المفتاح التفسيري السحري: يكون مجتمع ما معرضا إلى الإصابة بالعطب عندما يعاني من إكراهات شديدة معاناة متزامنة، وعندما تتألف هذه الإكراهات بحيث تبدي تأثيرها المتزامن، وعندما ينتشر هذا التأثير بسرعة عبر عدد كبير من الترابطات بين الأشخاص والجماعات والمنظمات، وعبر التكنولوجيات. إذ يعاني هذا المجتمع مما يعانيه هولة واحدة، فإن ذلك يشكل بالنسبة إليه ما يسميه

«أواني» التقنية تعطلت، والفوضى استشرت، والناس في هرج ومرج. ويقارن هذا الحدث القيامي بحدث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بالولايات المتحدة الأمريكية: كلاهما حادث مفاجئ برز هكذا فجأة عن غدارة في عالم معقد لا نفهمه إلا عن بعد، وكلاهما يذكرا بهشاشتنا أمام فشل الأنظمة التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية: كل شيء تعطل، وما يدري الناس ما يفعلون بحكم استتباعهم التام إلى الأجهزة الإلكترونية. وتلك حادثة يجدها المؤلف فرصة للتأمل في «الضغوطات» و«الإكراهات» التي تواجهها الحضارة اليوم. وهي، عنده، في عداد الخمس:

الضغط الديمغرافي الناتج عن اختلافات معدلات النمو الديمغرافي بين المجتمعات الغنية والمجتمعات الفقيرة، وعن الانفجار الديمغرافي في المدن الكبرى بالبلدان الفقيرة. الضغط الطاقى ولا سيما منه الخاص في الوقود ...

الضغط البيئي الذي تسببه الأضرار التي تلحقها بأراضيها ومياهها ونباتاتها ومصايدنا ... الضغط المناخي الناتج عن التغيرات التي تلحق بأحوال طقسنا ... وأخيرا: الضغط الاقتصادي الناجم عن عدم استقرار النظام الاقتصادي العالمي وعن الفوارق في المداخل التي تتزايد بين الأثرياء والمعدمين.

ويلاحظ المؤلف أنه من بين هذه الضغوطات الخمس، فإن الضغط الطاقى هو الأهم. ويعتبر أنه اكتشف من خلال دراسته لتاريخ روما القديم أن الطاقة هي المورد الرئيسي الخطير لبناء المجتمع: لما تكون هي نادرة ومكلفة، فإن كل ما نحاول فعله، بما في ذلك تنمية غذائنا والحصول على موارد الماء الشروب ومعالجة ونقل الخبرات والدفاع عن أنفسنا، يسمي أشد عسرا. كما يلاحظ أن أغلب هذه الإكراهات الخمس تأتي من صلتنا بالطبيعة. ويؤكد على أنه لا يمكن تجاهل الطبيعة، لأنها تؤثر في كل جوانب رفاهة العيش وتتحكم في الوقت نفسه في أمر بقائنا. لكن وكأننا في أحضان الردى وهو نائم، قلما نولي العناية إلى هذا الأمر. والكثير من اللوبيات الاقتصادية والسياسية وغيرها، وقد جعلت من الثقة العمياء ديننا تدينت به، تريد طمأننة الناس على أننا بخير. ويقول الكاتب قول المتنبي: لسوف يكون القرن الواحد والعشرون عصر الطبيعة، وسوف نعلم الشيء الكثير عن كون الطبيعة مهمة، لكن بعد التجربة السلبية.

على أن مما يطم الوادي على القرى أن ثمة ما «يضاعف» من هذه الإكراهات الخمس: ومنه السرعة المتنامية للترابط الشامل لنشاطاتنا وتكنولوجياتنا، حتى إذا ما مس الضرر قطاعا تداعت له كل القطاعات الأخرى (مثال الضرر الكوني لعملية القرصنة المعلوماتية) ...

ومنه القوة النامية للجماعات الصغرى بغاية تدمير الأشياء والبشر، على غرار الضرر البالغ الذي تحدثه الجماعات الإرهابية بما لم يكن قد شهد له التاريخ من قبل نظيرا ...

والحال أن التمازج بين تلك «الإكراهات» وهذين «المضاعفين» من شأنه أن يزيد بقوة من خطر انهيار النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي: أي أن يتسبب في ما يسميه المؤلف «فشلا متزامنا» للحضارة المعاصرة: مما سيسفر، في نظر المؤلف، عن كارثة هدامة وليست خلاقة.

وهنا يظهر طرح المؤلف بكل وضوح: ما هي العوامل التي يمكن أن تجعل من مجتمع ما مجتمعا قابلا لكي يلحق به العطب أو حتى يصاب بانهيار تام؟ ناقش المؤرخون والمتخصصون في العلوم الاجتماعية هذه المسألة لزمان طويل، ولم يتوصوا فيها إلى نتيجة واحدة. لكن المؤلف يعتقد أنه حصل على المفتاح التفسيري السحري: يكون مجتمع ما معرضا إلى الإصابة بالعطب عندما يعاني من إكراهات شديدة معاناة متزامنة، وعندما تتألف هذه الإكراهات بحيث تبدي تأثيرها المتزامن، وعندما ينتشر هذا التأثير بسرعة عبر عدد كبير من الترابطات بين الأشخاص والجماعات والمنظمات، وعبر التكنولوجيات. إذ يعاني هذا المجتمع مما يعانيه هولة واحدة، فإن ذلك يشكل بالنسبة إليه ما يسميه

«أواني» التقنية تعطلت، والفوضى استشرت، والناس في هرج ومرج. ويقارن هذا الحدث القيامي بحدث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ بالولايات المتحدة الأمريكية: كلاهما حادث مفاجئ برز هكذا فجأة عن غدارة في عالم معقد لا نفهمه إلا عن بعد، وكلاهما يذكرا بهشاشتنا أمام فشل الأنظمة التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية: كل شيء تعطل، وما يدري الناس ما يفعلون بحكم استتباعهم التام إلى الأجهزة الإلكترونية. وتلك حادثة يجدها المؤلف فرصة للتأمل في «الضغوطات» و«الإكراهات» التي تواجهها الحضارة اليوم. وهي، عنده، في عداد الخمس:

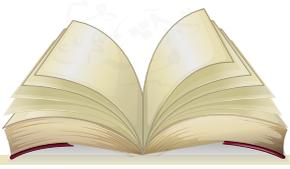
الضغط الديمغرافي الناتج عن اختلافات معدلات النمو الديمغرافي بين المجتمعات الغنية والمجتمعات الفقيرة، وعن الانفجار الديمغرافي في المدن الكبرى بالبلدان الفقيرة. الضغط الطاقى ولا سيما منه الخاص في الوقود ...

الضغط البيئي الذي تسببه الأضرار التي تلحقها بأراضيها ومياهها ونباتاتها ومصايدنا ... الضغط المناخي الناتج عن التغيرات التي تلحق بأحوال طقسنا ... وأخيرا: الضغط الاقتصادي الناجم عن عدم استقرار النظام الاقتصادي العالمي وعن الفوارق في المداخل التي تتزايد بين الأثرياء والمعدمين.

ويلاحظ المؤلف أنه من بين هذه الضغوطات الخمس، فإن الضغط الطاقى هو الأهم. ويعتبر أنه اكتشف من خلال دراسته لتاريخ روما القديم أن الطاقة هي المورد الرئيسي الخطير لبناء المجتمع: لما تكون هي نادرة ومكلفة، فإن كل ما نحاول فعله، بما في ذلك تنمية غذائنا والحصول على موارد الماء الشروب ومعالجة ونقل الخبرات والدفاع عن أنفسنا، يسمي أشد عسرا. كما يلاحظ أن أغلب هذه الإكراهات الخمس تأتي من صلتنا بالطبيعة. ويؤكد على أنه لا يمكن تجاهل الطبيعة، لأنها تؤثر في كل جوانب رفاهة العيش وتتحكم في الوقت نفسه في أمر بقائنا. لكن وكأننا في أحضان الردى وهو نائم، قلما نولي العناية إلى هذا الأمر. والكثير من اللوبيات الاقتصادية والسياسية وغيرها، وقد جعلت من الثقة العمياء ديننا تدينت به، تريد طمأننة الناس على أننا بخير. ويقول الكاتب قول المتنبي: لسوف يكون القرن الواحد والعشرون عصر الطبيعة، وسوف نعلم الشيء الكثير عن كون الطبيعة مهمة، لكن بعد التجربة السلبية.

على أن مما يطم الوادي على القرى أن ثمة ما «يضاعف» من هذه الإكراهات الخمس: ومنه السرعة المتنامية للترابط الشامل لنشاطاتنا وتكنولوجياتنا، حتى إذا ما مس الضرر قطاعا تداعت له كل القطاعات الأخرى (مثال الضرر الكوني لعملية القرصنة المعلوماتية) ...

ومنه القوة النامية للجماعات الصغرى بغاية تدمير الأشياء والبشر، على غرار الضرر البالغ الذي تحدثه الجماعات الإرهابية بما لم يكن قد شهد له التاريخ من قبل نظيرا ...



الرحلة إلى الربيع العربي الجزور الفكرية لاضطرابات الشرق الأوسط في أفكار الليبراليين العرب

أميرة سامي *

الخطاب الليبرالي حول الإصلاحات السياسية والديمقراطية في العالم العربي خلال العقود الثلاثة الماضية محور النقاش في هذا الكتاب الذي يتناول أحداث تأسيس الخطاب الليبرالي العربي حول الإصلاح السياسي منذ وقت مبكر في التسعينيات من القرن العشرين، بما في ذلك انهيار الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية (١٩٨٩-١٩٩١) وانتهاء الحرب الباردة بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية وحرب الخليج الأولى (١٩٩٠-١٩٩١)، والعولمة وثورة الاتصالات منذ العقد الأخير من القرن العشرين، والانخفاض الحاد في السياسة الخارجية للولايات المتحدة بعد الهجمات الإرهابية في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والإطاحة بنظام صدام حسين في مارس ٢٠٠٣ كل هذا أثار الخطاب الليبرالي بصورة أكبر حول الديمقراطية لدى الجمهور العربي والمجتمعات العربية.

تونس ومصر وليبيا واليمن، واندلعت في البحرين، وأصبحت انتفاضة سوريا حرباً أهلية دموية، وخرجت تظاهرات في الأردن والجزائر والمغرب والعراق ووقعت مظاهرات على نطاق أصغر في الكويت ولبنان وموريتانيا والسعودية وجنوب السودان ولم نفهم مطالب الجماهير العربية القوية للتغيير بما في ذلك النظام السياسي القائم وإسقاط الأنظمة دون الأخذ بعين الاعتبار مساهمة أفكار الليبراليين في الخطاب العام بالمنطقة العربية.

على ذلك تناول الكاتب في هذا الكتاب الليبرالي السوري د. "بوراها" | بوراها | الدكتور برهان غليون والليبرالي التونسي د. "منلا" | منلا | الدكتور منصف المرزوقي الذين كان لهما دور رائد في الاحتجاج السياسي المسمى الربيع العربي.

الدكتور برهان غليون (عين رئيساً للمجلس الوطني السوري المؤقت وهي هيئة توحد كل المعارضة لنظام بشار الأسد)، بينما الدكتور منصف المرزوقي كان أول رئيس في العالم العربي يأتي إلى سدة الحكم ديمقراطياً، ويسلم السلطة ديمقراطياً إلى المعارض المنافس بعد انتهاء مدة ولايته والحقيقة أن المرزوقي وغليون عاشا جزءاً كبيراً من حياتهما في الخارج، وانتخبا في مناصب هامة، لكنهما استطاعا أن يثبتا تأثير الخطاب الليبرالي في السياسة.

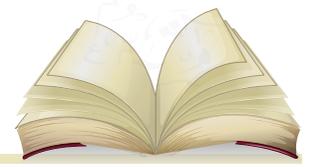
(أكتوبر) وإجراء الانتخابات البرلمانية العراقية (ديسمبر)، وشكل الخطاب الليبرالي جزءاً كبيراً من الخطاب العام حول هذا الموضوع، وساهم في رفع مستوى الوعي العام، ومهد الطريق إلى الدعاوى القضائية التي تدعو إلى تغيير جذري للأنظمة السياسية في المنطقة العربية.

في أواخر عام ٢٠٠٥ بدأ الانخفاض بشكل ملحوظ في الجهود والضغط الدولية، مما أدى إلى تعزيز الولايات المتحدة للإصلاح والتحول الديمقراطي في العالم العربي، ويرجع ذلك جزئياً إلى نتائج الانتخابات في مصر وقطاع غزة (٢٠٠٥-٢٠٠٧) مما عكس التأثير المتنامي لعوامل الإسلام السياسي، وذلك في ظل الاحتياج للولايات المتحدة وبلدان أوروبا الغربية للتعاون في مجال الاستخبارات مع الأنظمة العربية للقضاء على الإرهاب العالمي، خاصة في ظل احتدام الصراع ضد برنامج إيران النووي الذي تقوده الولايات المتحدة.

ومع ذلك دعا الليبراليون المثقفون والشخصيات العامة وأعضاء المعارضة والحكام العرب إلى تنفيذ الإصلاحات السياسية وتعزيز الديمقراطية، وقد انعكس هذا مادياً في انتفاضة عدوانية وعنيفة ضربت المنطقة العربية كلها منذ ديسمبر ٢٠١٠ الانتفاضة المسماة "الهروب الاربعة" العربي هذه الانتفاضة أزلت من السلطة حكام

كانت سنة (٢٠٠٤-٢٠٠٥) ذروة النقاش العام حول قضية الإصلاحات السياسية والديمقراطية في الشرق الأوسط بعد إخلاء المنطقة وإزالة سلطة الحاكم العراقي صدام حسين بالقوة من خلال ائتلاف البلدان التي تقودها الولايات المتحدة وفق مبادرة BMENA (الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) لتعزيز الديمقراطية في الشرق الأوسط التي نشرت رسمياً من قبل الولايات المتحدة والدول الصناعية الثماني (G8) في يونيو ٢٠٠٤، وعقد في هذا العام بجميع أنحاء الشرق الأوسط العديد من المؤتمرات للمثقفين والليبراليين ومنظمات حقوق الإنسان ونشطاء المجتمع المدني حول هذا الموضوع، بالإضافة إلى ذلك استمر الجدل في الصحف والمواقع العربية والإنترنت.

بعد ذلك بعام وجد أن التعبير السياسي كائن في طابور طويل لأنظمة الانتخابات وعمليات الإصلاح السياسي، وكان من هذه الانتخابات رئاسة السلطة الفلسطينية (يناير)، وأول انتخابات بلدية في تاريخ المملكة العربية السعودية (فبراير)، والموافقة البرلمانية الكويتية للنساء بالتصويت والانتخاب (مايو) | مايو | تغيير الدستور (للمرة الأولى منذ ١٩٨٠) مباشرة الانتخابات الرئاسية، ولأول مرة في تاريخ مصر التي لديها أكثر من مرشح واحد (سبتمبر) اعتماد دستور جديد



العربية والحلول الممكنة لمسألة الأقليات والأنظمة الاستبدادية وشبه الاستبدادية، والتيار الإسلامي والقومي والتحديات ونقاط الضعف، ودراسة تأثير أيديولوجيا الليبراليين العرب على الثورات التي حدثت في العالم العربي منذ بداية عام ٢٠١١.

أما المصادر التي اعتمد عليها في الكتاب فهي كتب التاريخ الحديث للشرق الأوسط، والعلوم السياسية والعلاقات الدولية بالإضافة إلى المجلات ومقالات الرأي والمقابلات الإلكترونية ووسائل الإعلام وغيرها من المطبوعات مثل "جريدة المستقبل العربي" الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت، ومجلة "الديمقراطية" التي ينشرها مركز البحوث الاستراتيجية في مؤسسة الأهرام بالقاهرة، ومواقع الانترنت العربية الليبرالية وعلى رأسها 'אלילא' إيلاف' و'שפאפ אלשק' UOIKLX شفاف الشرق الأوسط' وغيرها.

ومن القضايا الواردة في هذا الكتاب استخدام مصطلح "الليبراليين العرب" الذي يثير بعض الصعوبات بسبب عدم توحيده مع مصطلح الليبرالية الوارد من الغرب ويختلف عن المعنى العربي الإسلامي، لذا يعد المؤلف مصطلح "الليبراليين العرب" مصطلحا جديدا إلى حد ما، رغم القواسم المشتركة في المركزية الفردية وحقوق الإنسان والحريات الأساسية والتعددية والإصلاحات السياسية وإقامة حكومة ديمقراطية، أما الصعوبة الثانية فتكمن في فك الرموز في نصوص المثقفين والليبراليين العرب، ولاسيما أولئك الذين لديهم خلفية فلسفية، ويشاركون في كتابة تاريخ الأفكار والمبدعين فصي كثير من الأحيان تكون لديهم مفاهيم جديدة في عالمهم الخاص.

ومن المصطلحات التي ورد تعريفها في الكتاب مصطلح "ליברליזם ليبرالية، و" חילוניות علمانية"، و פלורליזם تعددية"، و"דמוקרטיה ديمقراطية" وأهمية تطورها وتغييرها تبعا للزمان والمكان، وقد أصبحت هذه المصطلحات شائعة في الخطاب السياسي العربي الحديث، ويشكل استخدامها صعوبة منهجية في ضوء الفجوة بين الواقع السياسي ومعاني المفاهيم في الخطاب العربي الإسلامي في منطقة الشرق الأوسط وبين الواقع السياسي والمعنى في الغرب، ويعترف الليبراليون العرب بوجود هذه المشكلة وقد أشار בורהאן ראליו برهان غليون إلى وجود ثلاث صعوبات كالآتي:

ظل أنظمة ما بعد الثورات من عام ١٩٤٥ حتى نهاية القرن العشرين في العديد من الدول مثل مصر والعراق وسوريا والأردن ولبنان وبلدان شبه الجزيرة العربية.

بينما دار الجزء الثاني من الكتاب حول الدوائر الليبرالية في الربع الأخير من القرن العشرين بين الاستمرارية والتغيير وتضمن أثر الأحداث والتطورات في الساحة الدولية والإقليمية على الخطاب الليبرالي الجديد في المنطقة العربية، وتركزت الأحداث الرئيسة في هذا الجزء على:

- ١- انهيار الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية وحرب الخليج.
- ٢- العولمة ودور وسائل الإعلام.
- ٣- التغيير في سياسة الولايات المتحدة عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١.
- ٤- الإطاحة بالأنظمة في أفغانستان في أواخر عام ٢٠٠١ وفي العراق عام ٢٠٠٣.

أما الجزء الثالث والأخير من الكتاب فدار حول النقاش الواسع بين المثقفين والليبراليين عن أزمة الديمقراطية العربية وتناول النقاش مجموعة متنوعة من الأسئلة، منها: ما أهمية الديمقراطية في العالم العربي؟ ما مبادئ الديمقراطية ومكوناتها؟ هل هناك أي شروط مسبقة من أجل تنفيذها؟ ما العوائق التي تحول دون تنفيذها؟ بالإضافة إلى تناول نموذج الدولة الديمقراطية لليبراليين العرب وفقا لثلاثة عناصر: الديمقراطية، والدستورية، وسيادة القانون، ونسبة الأقليات، وناقش الفصل أيضا مسألة "ה'מואסנה المواطنة" و"האזרחות الهوية" وكذلك أوجه القصور في بنية الأنظمة

وتم دراسة الخطاب الليبرالي الجديد، الذي بدأ في التسعينيات من القرن العشرين من خلال الآتي:

- ١- الخلفية التاريخية والنمو الأيديولوجي للتيار الليبرالي الجديد، والإدارات التابعة له ووجهة النظر العالمية.

- ٢- تأثير الأحداث الإقليمية والدولية على الخطاب ومضمونه ووزن ثورة الاتصالات في خلق التعددية الأيديولوجية في هذا الخطاب.

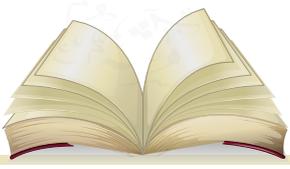
- ٣- رؤية الديمقراطية لليبرالية الجديدة والعقبات الرئيسية، وفقا لرؤيتهم وممارسة الديمقراطية في الدول العربية.

- ٤- حالة وتأثير الليبرالية الجديدة في الدولة والمجتمع وعلى الحكومة مقارنتها مع التيارات الأيديولوجية الأخرى (الإسلامية - القومية العربية).

يمثل هذا الكتاب مجموعة متنوعة من الليبراليين الجدد، منهم كتاب ومفكرون وأكاديميون ونشطاء وغيرهم، واحتل الليبراليون المصريون مكانا مركزيا في هذا الكتاب بفضل وضعهم السياسي والوزن الثقافي الرائد لمصر في المنطقة العربية، كما ذكر الكاتب الصحفي فريد زكريا "أن مصر هي intellectual soul الروح الثقافي للعالم العربي".

ينقسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة أجزاء تناول الكاتب في مقدمة الكتاب التعريفات والمصطلحات المختلفة التي تعكس طبيعة موضوع الليبرالية ومصدرها في الغرب وعند العرب. ويذكر الكاتب أن العرب اعتمدوا على المفاهيم من التاريخ والفكر الأوروبي، وأنه توجد فجوة بين معنى الشرق الأوسط في الخطاب العربي الإسلامي عن الغرب بالإضافة إلى دراسة عمليات التحول الديمقراطي في الشرق الأوسط العربي، وتفسيرات عدم وجود الديمقراطية في الشرق الأوسط العربي متنوعة ومعقدة وتشمل الجوانب السياسية والتاريخية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وتأثير تبادل العوامل الإقليمية والدولية.

الجزء الأول من الكتاب يتناول الخطاب الليبرالي من الناحية التاريخية وانقسم إلى فصلين الأول بداية الليبرالية في العالم العربي في سنوات ١٨٧٦-١٩٤٥، ومفهوم المجتمع السياسي الإسلامي الذي يشكل أساسا هاما لفهم السياق التاريخي والاجتماعي والثقافي لمحققات الليبرالية الجديدة. أما الفصل الثاني فنناقش الخطاب الليبرالي في



كما تناول الكاتب آراء المفكرين العرب والمصريين في مصطلح الليبرالية ومنهم: عبد المنعم سعيد، والكاتب المصري على سالم، وفؤاد زكريا، والمفكر العربي خلدون الحصري، وحازم الببلاوي الذي سلط الضوء على مصطلح الليبرالية بقوله: «هو مصطلح حيوي يتطور وفقا للزمان والمكان، وحتى الآن، فإن جوهر الليبرالية لا يزال واحداً، والأنظمة الليبرالية هي تلك التي توفر الحريات الفردية كأساس لمجتمعها».

ويذكر الكاتب أن التقليد الليبرالي العربي قد تطور في الشرق الأوسط خلال نضال الدول العربية ضد الحكم الاستعماري الغربي والسعي لتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي.

كذلك ينظر لمصطلح 'liberalism' التحرر من معنى التحرر من الحكم الأجنبي على عكس المعنى في الغرب حيث قامت الليبرالية الأوروبية على أكتاف الانتهاء من الترابط السياسي والاجتماعي بينما الليبرالية العربية تطورت في ظل مقاومة الاحتلال، وبالتالي فإن التنمية ضعيفة إلى حد ما.

وقد أشار الليبراليون العرب إلى الفارق بين الثقافة العربية التي تؤكد على الجماعية والقبلية والقرابة وبين الليبرالية الغربية.

ويصل الدخيل إلى استنتاج أن مقاومة الليبرالية في المجتمع العربي هي تقريبا شاملة، فالدولة ترفضها لأنها تدمر الأسس التي أنشئت من أجلها، والشعب يرفضها لأنها ليست المناسبة للتراث الثقافي، والنخبة غير قادرة على التعامل معها كأيدولوجية ملزمة.

اسم الكتاب: الرحلة إلى الربيع العربي: الجذور الفكرية لاضطرابات الشرق الأوسط في أفكار الليبراليين العرب

المؤلف: دود جوفرين

الناشر: دار نشر ماغنيس

سنة النشر: أبريل 2016

اللغة: العبرية

عدد الصفحات: 340 صفحة

* أكاديمية مصرية

منظمات دفاعية متعددة ومتنوعة.

وقد وضعت الليبرالية في أوروبا الحرية كقيمة أساسية تدعو إلى التحرر من السلطة التي تسمى غالبا سلطة تعسفية، وفي كثير من الأحيان تسمى "חירות שלילית الحرية السلبية" بما في ذلك حرية الضمير، وحرية الصحافة، وحرية التعبير، والمساواة أمام القانون والحق في التملك دون خوف من الاستيلاء التعسفي، واعتمدت الدولة اقتصاديا المبدأ الليبرالي (איחולרות) أو laissez-faire سياسة عدم التدخل في الاقتصاد) للحرية الإيجابية "بمعنى الحقوق الاجتماعية والاقتصادية، مثل تكافؤ الفرص في التعليم وحقوق الرعاية الصحية وفرص العمل للحصول على وجود كل هذه الحريات اللازمة للتمثيل الديمقراطي، لذا فمن المعتاد أن تعرف الليبرالية مع التعددية والتسامح في الآراء والمعتقدات والجماعات العرقية المختلفة وأيضا مع الرغبة في دولة الرفاه الاجتماعي، والذين يؤيدون الليبرالية ينظرون إليها على أنها شرط ضروري لتطوير ديمقراطية قوية، ونعتقد أن الليبرالية توجه فقط ملامح وقواعد وسلوك المواطن، وأن فترة الليبرالية مطلوبة لأجل ترسيخ ثقافة المواطنة قبل إدخالها في السياسة الانتخابية بالدولة.

أما مصطلح الليبرالية في الشرق الأوسط يذكر الكاتب أنه ترجع إلى العربية لأول مرة من قبل العالم הפאולה ראפיק אלטהטאוי رفاة رافع الطهطاوي في القرن التاسع عشر، إلا أن البعض الآخر يرى أن المصطلح ترجع للمرة الأولى في العشرينيات من القرن العشرين بواسطة אהמד לופיא אלסיד أحمد لطفي السيد أحد الليبراليين المصريين البارزين، أيضا من الذين تعمقوا إلى حد كبير في مصطلح الليبرالية في سياق الشرق الأوسط العربي كان المؤرخ אלברט חוראני ألبرت حوراني في كتابه المشهور "Arabic Thought in the Liberal Age" تاريخ الفكر العربي في العصر الليبرالي.

1- الاستخدام المتجدد في المصطلحات المنقولة من الثقافة السياسية ويقتضي معرفة جميع نواحيها وسياقاتها.

2- التغيير السريع في المعنى النظري للمصطلح والناجم عن التغيير في الخبرة العملية السريعة للمجتمع.

3- السياق الجديد للمصطلح الذي نحن نستخدمه. كما أشار ח'אלד אלדח'יל خالد الدخيل (أكاديمي وكاتب سياسي سعودي من مواليد المملكة العربية السعودية) إلى إشكالية استخدام مصطلحات مثل 'חירות الحرية'، و'אינד'יב'ודאליזם النزعة الفردية أو الفردانية، و'פ'ול'רליזם تعددية'، التي تشكل العناصر الأساسية في مفهوم الليبرالية، ولاحظ الدخيل أن مضمون هذه المصطلحات في الثقافة العربية عكس أو ضد المعنى الأصلي تماما فالحرية تعني الفوضى أو الفوضوية (وهي الإيمان بمجتمع بلا حكومة)، والنزعة الفردية تعني (التمرد والانقلاب و العصيان) والتعددية (الانقسام والتقسيم والفصل والتشعب)

مصطلح (ליברل أو liberal) هي كلمة لاتينية من libertas تعنى حرية והליברליזם الليبرالية هي وجهة نظر العالم والنظام السياسي القائم على مبادئ الحرية الشخصية وحماية الأفراد والأقليات ضد الإجراءات التعسفية للدولة، ومعنى مصطلح "ליברליזם ليبرالية" كمنظورية سياسية غير متكافئ مثير للجدل حتى بين العلماء في الغرب، ويعبر عن عملية تفسير وإعادة تعريف في أماكن مختلفة وظروف تاريخية مختلفة.

بينما يميز ראסל הרדין راسل هاردن بين نوعين من الليبرالية: "الليبرالية السياسية" و"الليبرالية الاقتصادية" التي تركز على الرخاء العام للمجتمع، ومن الناحية التاريخية "الليبرالية الكلاسيكية" والتي تسمى أيضا الليبرالية في وقت مبكر ركزت على الملكية الخاصة والمنافسة الاقتصادية الحرة كنقطة محورية للحقوق الفردية الأساسية، هذا في مقابل "الليبرالية الحديثة" والتي تسمى أيضا "الليبرالية الموسعة" وترى أن الفرد بحاجة إلى

النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها.

مجلة التفاهم هاتف : ٣١.٢٤٦٤٤ - ٣٢.٢٤٦٤٤.٩٦٨ ، فاكس : ٩٦٨.٢٤٦.٥٧٩٩

البريد الإلكتروني : www.altafahom.net - al.tafahoom@gmail.com - tasamoh@gmail.com